الوارث

توزّع مجاناً

٢٩

جمادى الثانية ١٤٣٢هـ
آيار ٢٠١١م

نشرة شهرية دينية ثقافية تصدر عن
شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
في العتبة الحسينية المقدسة

أسعد الله أيامنا وأيامكم
بمناسبة مولد سيدة نساء العالمين

بسم الله

طف

٢ قطوف دانية من السيرة الحسينية
الحسين عليه السلام عند قبر جده صلى الله عليه وآله وسلم

٤ في رحاب علوم القرآن
معارف القرآن

٦ على ضفاف نهج البلاغة
شبهات أثيرت حول كتاب نهج البلاغة -الحلقة الثانية-

٨ مدارات فكرية في مدرسة العترة النبوية
بحث علمي إستدلالي حول حديث الكساء

١٠ أخلاقك هويتك
طريق لحفظ إعتدال الفضائل

١٢ مباحث عقائدية
شروط ومواصفات الإمام بين الشيعة وأهل السنة -الحلقة الثانية

١٤ أعلام الشيعة
محمد بن علي بن رزين المشهور بدعبل الخزاعي

١٦ معاجز أهل البيت عليهم السلام وكراماتهم
تسكين الزلزلة -كرامة لعلي بن أبي طالب عليه السلام

١٧ في رحاب مدرسة الدعاء
شرح الصحيفة السجادية -الحلقة الأولى-

١٨ شؤون الأسرة
فقه الأسرة وآدابها -الحلقة الأولى-

٢٠ عبر من التاريخ
علماؤنا وآية المودة

٢١ معرف عامة
الجرائيم

الإشراف العام
الشيخ علي الفتلاوي

هيئة التحرير
السيد نبيل الحسني
الشيخ وسام البلداوي

التدقيق اللغوي
خالد جواد جاسم

التنضيد الإلكتروني
محمد رزاق صالح

التصميم والإخراج الفني
السيد علي ماميثة
أحمد محسن جواد

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

هاتف: ٣٢٦٤٩٩
بدالة: ٣٢١٧٧٦ - داخلي: ٢٤٢
موقع العتبة www.imamhussain.org
موقع القسم www.imamhussain-lib.org
بريد القسم info@imamhussain-lib.org

الوارث
إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق
- وزارة الثقافة لسنة ٢٠١١ - ١٦١١

التنفس المعنوي

خلق الله تعالى لعباده جهازاً تنفسياً لكي تدوم الحياة، وبعد موته يتحول هذا الجسد البشري إلى قطعة جمادية لا حراك فيها، وخلق الله تعالى مادة خاصة تدخل إلى رئتي هذا الإنسان فينتعش بها جسده ألا وهي الأوكسجين، وبناءً على ما تقدم فلو استنشق هذا الإنسان غير هذه المادة سيصاب بالتسمم ومن ثم الموت المحتم، ولكي يتضح المراد من هذه المقالة أنقل لكم هذه الصورة عندما كنا في مديرية الأمن أنا وأخوتي كنا نعيش في غرفة صغيرة ليس لها إلا نافذة بمقدار كف فقط، وكنا حينها خمساً وعشرين فرداً، ولا نتنفس إلا ما نزفره من ثاني أوكسيد الكربون، ولكن عندما يصل أحدنا إلى حد الغثيان نرفعه لكي يستنشق هواءً نقياً ثم نرجعه إلى الجو الملوث الفاسد وهكذا دامت هذه المعاناة سبعة أشهر حتى ذهبنا إلى المحكمة، فإذن لا بد لنا من استنشاق الهواء النقي لكي نستمر في الحياة المادية، وأما في الحياة المعنوية لا بد لنا من نوافذ نستنشق منها الاطمئنان والاستقرار النفسي وراحة البال وهذا لا يتم إلا بالإيمان والعمل الصالح والقرب الإلهي لا سيما ونحن نعيش في هذه الدنيا الملوثة بالأفكار المنحرفة والأخلاق الفاسدة والنفاق الاجتماعي والجشع المادي و... و... إلخ، وهذه الباقة من الأحاديث تشير إلى الدنيا الدنية.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (هذه الدنيا مثل ثوب شق من أوله إلى آخره فيبقى متعلقاً في خيط في آخره يوشك ذلك الخيط أن ينقطع).

وقال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: (إنما الدنيا شَرَك وقع فيه من لا يعرفه).

وقال عليه السلام: (إنما الدنيا كالسم يأكله من لا يعرفه).

وقال أيضا: (مثل الدنيا كظلك إن وقفت وقف وإن طبته بعد).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: (الدنيا بمنزلة صورة رأسها الكبر وعينها الحرص، وأذنها الطمع، ولسانها الرياء، ويدها الشهوة، ورجلها العُجب، وقلبها الغفلة وكونها الحرص، وحاصلها الزال).

وعن الإمام الكاظم عليه السلام قال: (مثل الدنيا مثل الحية مسّها ليّن وفي جوفها السم القاتل يحذرها الرجال ذوو العقول ويهوي إليها الصبيان بأيديهم).

فأفضل طريقة لتنفس الهواء النقي داخل هذا السجن هو أن نفتح النوافذ التي وهبها الله تعالى لنا من الإيمان والعبادة والدعاء والتقرب وغير ذلك وإليك هذه الباقة من الأحاديث التي تشير إلى هذه النوافذ.

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن الإيمان ما خلص في القلب وصدقته الأعمال).

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: الإيمان أربعة أركان: التوكل إلى الله والتفويض على الله والتسليم لأمر الله والرضا بقضاء الله).

وعنه أيضاً عليه السلام: (العبودية خمسة أشياء: خلاء البطن وقراءة القرآن، وقيام الليل، والتضرع عند الصبح، والبكاء من خشية الله).

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إن الله تعالى يقول: لا يزال عبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فأكون أنا سمعه الذي يسمع وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به، وقلبه الذي يعقل به فإذا دعاني أجبته وإذا سألني أعطيته).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (الدعاء سلاح المؤمن).[1]

المشرف العام

---

(١) تفسير المعين، محمد هويدي: ص٤٧٤.

الحسين عليه السلام عند قبر جده صلى الله عليه وآله وسلم

وخرج الحسين بن علي عليهما السلام من منزله ذات ليلة، وأتى قبر جده صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

(السلام عليك يا رسول الله! أنا سبطك في الخلف الذي خلفت على أمتك، فاشهد عليهم يا نبي الله، أنهم قد خذلوني وضيعوني وأنهم لم يحفظوني، وهذا شكواي إليك حتى ألقاك).

ثم وثب قائما وصف قدميه ولم يزل راكعا وساجدا.

وأرسل الوليد بن عتبة إلى منزل الحسين عليه السلام لينظر أخرج من المدينة أم لا؟ فلم يصبه في منزله، فقال: الحمد لله إذ خرج ولم يبتلني الله في دمه ورجع الحسين عليه السلام إلى منزله عند الصبح، ثم بعث الوليد الرجال إلى الحسين عليه السلام عند المساء، فقال عليه السلام:

(أصبحوا ثم ترون ونرى).

فكفوا عنه الليلة ولم يلحوا عليه.

فلما كان الليلة الثانية خرج إلى القبر أيضا فصلى ركعتين، فلما فرغ من صلاته جعل يقول:

(أللهم! إن هذا قبر نبيك محمد أنا ابن بنت محمد وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللهم! وإني أحب المعروف وأكره المنكر، وأنا أسألك يا ذا الجلال والإكرام بحق هذا القبر ومن فيه ما اخترت من أمري هذا ما هو لك رضى).

ثم جعل الحسين عليه السلام يبكي، حتى إذا كان في بياض الصبح وضع رأسه على القبر فأغفى ساعة، فرأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أقبل في كبكبة من الملائكة عن يمينه وعن شماله ومن بين يديه ومن خلفه حتى ضم الحسين عليه السلام إلى صدره وقبل بين عينيه وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

(يا بني يا حسين! كأنك عن قريب أراك مقتولا مذبوحا بأرض كرب وبلاء من عصابة من أمتي، وأنت في ذلك عطشان لا تسقى وظمآن لا تروى، وهم مع ذلك يرجون شفاعتي، ما لهم لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة! فما لهم عند الله من خلاق؛ حبيبي يا حسين! إن أباك وأمك وأخاك قد قدموا عليّ وهم إليك مشتاقون، وإن لك في الجنة درجات لن تنالها إلا بالشهادة).

فجعل الحسين عليه السلام ينظر في منامه إلى جده صلى الله عليه وآله وسلم ويسمع كلامه وهو يقول:

(يا جداه! لا حاجة لي الرجوع إلى الدنيا أبداً فخذني إليك واجعلني معك إلى منزلك).

فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

(يا حسين! إنه لابد لك من الرجوع إلى الدنيا حتى ترزق الشهادة، وما كتب الله لك فيها من الثواب العظيم، فإنك وأباك وأخاك وعمك وعم أبيك تحشرون يوم القيامة في زمرة واحدة حتى تدخلوا الجنة).

فانتبه من نومه وودّع قبر جده صلى الله عليه وآله وسلم وقال عليه السلام:

(بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد خرجت من جوارك كرها، وفرق بيني وبينك حيث أني لم أبايع ليزيد بن معاوية، شارب الخمور، وراكب الفجور، وها أنا خارج من جوارك على الكراهة، فعليك

مني السلام).

ولما فشا بين الناس إراده خروج الحسين عليه السلام إلى الكوفة منعوه جماعة منهم عن ذلك.

كلامه عليه السلام مع أبي بكر بن عبد الرحمن

وأتاه أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام، فقال: يا ابن عمّ إن الترحم نظارتي عليك وما أدري كيف أنا عندك في النصيحة لك؟ قال عليه السلام:

(يا أبا بكر ما أنت ممن يستغش ولايتهم فقل).

قال: قد رأيت ما صنع أهل العراق بأبيك وأخيك وأنت تريد أن تسير إليهم وهم عبيد الدنيا فيقاتلك من قد وعدك أن ينصرك ويخذلك من أنت أحبّ إليه ممن ينصره فاذكرك الله في نفسك.

فقال له الحسين عليه السلام:

(جزاك الله يا بن عم خيرا فقد اجتهدت رأيك ومهما يقض الله من أمر يكن).

فقال أبو بكرَ: إنا لله عند الله نحتسب أبا عبد الله.

كلامه عليه السلام مع محمد بن الحنفية

ثم رجع إلى منزله وقت الصبح، فأقبل إليه أخوه محمد بن الحنفية، وقال: يا أخي أنت أحب الخلق إلي وأعزهم علي ولست والله أدخر النصيحة لأحد من الخلق، وليس أحد أحق بها منك، لأنك مزاج مائي ونفسي وروحي وبصري، وكبير أهل بيتي، ومن وجبت طاعته في عنقي، لأن الله قد شرفك علي وجعلك من سادات أهل الجنة.

وساق الحديث إلى أن قال: تخرج إلى مكة، فإن اطمأنت بك الدار بها فذاك، وإن تكن الأخرى خرجت إلى بلاد اليمن، فإنهم أنصار جدك وأبيك، وهم أرأف الناس، وأرقّهم قلوبا، وأوسع الناس بلادا، فإن اطمأنت بك الدار، وإلا لحقت بالرمال وشعوب الجبال، وجزت من بلد إلى بلد، حتى تنظر ما يؤول إليه أمر الناس، ويحكم الله بيننا وبين القوم الفاسقين.

فقال الحسين عليه السلام:

(يا أخي والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى، لما بايعت يزيد بن معاوية).

فقطع محمد بن الحنفية الكلام وبكى، فبكى الحسين عليه السلام معه ساعة ثم قال:

(يا أخي جزاك الله خيرا، لقد نصحت وأشرت بالصواب وأنا عازم على الخروج إلى مكة، وقد تهيأت لذلك أنا وإخوتي وبنو أخي وشيعتي وأمرهم أمري ورأيهم رأيي، وأما أنت يا أخي فلا عليك أن تقيم بالمدينة فتكون لي عينا عليهم ولا تخف عني شيئا من أمورهم).

وعن ابن أعثم قال: قال محمد بن الحنفية: إني أريد أن أشير عليك برأي فاقبله مني.

فقال له الحسين عليه السلام:

(قل ما بدا لك).

فقال: أشير عليك أن تنجو بنفسك عن يزيد بن معاوية.

فقال الحسين عليه السلام:

(يا أخي إلى أين أذهب؟).

قال: أخرج إلى مكة، فإن اطمأنت.... الخ.

وفي رواية: قال له محمد بن الحنفية: يا أخي إني خائف عليك أن يقتلوك، فقال:

(إني أقصد مكة، فإن كان بي أمن أقمت بها، وإلا لحقت بالشعاب والرمال حتى أنظر ما يكون).

وفي رواية أخرى قال عليه السلام:

(يا أخي لو كنت في بطن صخرة لاستخرجوني منها فيقتلوني).

ثم قال له الحسين:

(يا أخي سأنظر فيما قلت).

وقد روي بأسانيد أنه لما منعه عليه السلام محمد بن الحنفية عن الخروج إلى الكوفة قال:

(والله يا أخي لو كنت في حجر هامة من هوام الأرض، لاستخرجوني منه حتى يقتلوني).

ثم دعا الحسين عليه السلام بدواة وبياض وكتب هذه الوصية لأخيه محمد:

(بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنفية: أن الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، جاء بالحق من عند الحق، وأن الجنة والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأني لم أخرج أشرا، ولا بطرا، ولا مفسدا، ولا ظالما، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليهما السلام، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين، وهذه وصيتي يا أخي إليك وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب).

ثمّ طوى الحسين عليه السلام الكتاب وختمه بخاتمه، ودفعه إلى أخيه محمد ثم ودعه.

وفي بعض الكتب: لّما عزم على الخروج من المدينة أتته أم سلمة رضي الله عنها فقالت: يا بني لا تحزني بخروجك إلى العراق، فإني سمعت جدك يقول:

(يقتل ولدي الحسين عليه السلام بأرض العراق في أرض يقال لها: كربلا).

فقال لها:

(يا أماه وأنا والله أعلم ذلك، وأني مقتول لا محالة، وليس لي من هذا بد، وإني والله لأعرف اليوم الذي أقتل فيه، وأعرف من يقتلني، وأعرف البقعة التي أدفن فيها، وإني أعرف من يقتل من أهل بيتي وقرابتي وشيعتي، وإن أردت يا أماه أريك حفرتي ومضجعي).

ثم أشار إلى جهة كربلا، فانخفضت الأرض حتى أراها مضجعه ومدفنه، وموضع عسكره وموقفه ومشهده، فعند ذلك بكت أم سلمة بكاء شديداً، وسلمت أمره إلى الله.

فقال لها:

(يا أماه قد شاء الله عز وجل أن يراني مقتولا مذبوحا ظلما وعدوانا، وقد شاء أن يرى حرمي ورهطي ونسائي مشردين، وأطفالي مذبوحين مظلومين مأسورين مقيدين، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصرا ولا معينا).

وروى الطوسي عن الحسين بن سعيد عن حماد بن عيسى، عن ربعي بن عبد الله، عن الفضيل بن يسار قال: قال أبو جعفر عليه السلام:

(لما توجه الحسين عليه السلام إلى العراق، ودفع إلى أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الوصية والكتب وغير ذلك قال لها: إذا أتاك أكبر ولدي فادفعي إليه ما قد دفع إليك، فلما قتل الحسين عليه السلام أتى علي بن الحسين عليهما السلام أم سلمة فدفعت إليه كل شيء أعطاها الحسين عليه السلام).

وروى علي بن يونس العاملي في كتاب الصراط المستقيم النص على علي بن الحسين عليهما السلام في حديث ثم قال: وكتب الحسين عليه السلام وصيّته وأودعها أم سلمة، وجعل طلبها منها علامة على إمامة الطالب لها من الأنام فطلبها زين العابدين عليه السلام[1].

---

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٢٨٦ ـ ٢٩٣.

معارف القرآن

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (وإن القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه).

وقال أيضا: (ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحه، وسراجاً لا يخبو توقّده، وبحراً لا يدرك قعره).

نعم صحيح أن القرآن بحر لا يدرك قعره ولكنا في نفس الوقت نجد القرآن الكريم يؤكد والمعصومين عليهم السلام يحثون على التدبّر في آيات القرآن، قال اللّه تعالى في كتابه العزيز:

«كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ»[1].

ولم يكتف القرآن الكريم بهذا المقدار، بل وبّخ الذين لا يتدبّرون هذا الكتاب العزيز، يقول اللّه تعالى في القرآن:

«أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ»[2].

ونجد في أحاديث النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم والأئمة الأطهار عليهم السلام تأكيدات متضافرة تحثّ على الرجوع إلى القرآن وتدبّر آياته، وخصوصاً عندما تتأزّم وتضطرب الأجزاء الفكرية في المجتمع فتظهر الشبهات بين المسلمين وتؤدي إلى انحرافات فكرية وعقائدية، ففي مثل هذه الظروف ورد الحثّ الأكيد في الروايات على الرجوع إلى القرآن: (إذا التبست عليهم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن).

وإن من واجباتنا المعيّنة لنا من قبل اللّه ومن قبل رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم المرسل التفكير في أطراف القرآن والتدبّر في آياته لنستفيد من الكنوز القيّمة التي أودعها اللّه سبحانه للناس في هذا الكتاب العزيز.

ولا شك بأن من أهم الواجبات على علماء الدين هو أن يحاولوا توضيح مفاهيم القرآن الكريم بشكل صحيح ومتقن وعلى مختلف المستويات، وأن يجعلوها تحت تصرف أبناء المجتمع، ويعدّ هذا من الواجبات الاجتماعية.

إن تفسير القرآن وفهم معانيه ليس ميسّرا بسهولة، ولكننا إذا ألزمنا من يريد أن يفهم القرآن بدراسته ثلاثين عاماً حتى يتمكن من فهمه، فمعنى ذلك أننا ندخل اليأس إلى قلبه من استيعاب المعنى الصحيح للقرآن، أو نقذف به في أحضان المنحرفين.

إذن يجب علينا أن نقوم بعرض معارف القرآن بشكل نظام فكري منسجم ومترابط، بحيث يستطيع الباحث أن يبدأ من نقطة معينة، ثم يسير بشكل متسلسل فيربط حلقات معارف الإسلام ببعضها، ويصل في خاتمة المطاف إلى هدف الإسلام والقرآن.

ولا نشك في ضرورة تبويب معارف القرآن الذي سيرافقه التفسير الموضوعي - أي تبويب الآيات حسب الموضوعات، للحصول على المفاهيم وإيجاد الترابط والانسجام بينها -.

وهنا يطرح هذا السؤال: على أي أساس وحسب أي نظام يتم هذا التبويب؟

نحن نعلم أن القرآن الكريم لم يلتزم بالتبويب المتعارف في الكتب التي ألّفها الإنسان، فقد لا نجد سورة - وحتى من السور القصار ذوات السطر الواحد - تتحدّث عن موضوع واحد، بل غالباً ما نجد الآية الواحدة قد ضُمّنت عدة معان، وللآية أبعاد مختلفة ووجوه متنوعة، فمثلاً يوجد لآية واحدة بعد عقائدي وبعد أخلاقي وبعد تاريخي وبعد تشريعي و... .

المناهج في تبويب الآيات

ليس من العسير أن نجد عنوانا كليا لمفهوم آية أو عدة آيات، مثلا: الآيات الواردة في الصلاة أو في الجهاد أو في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكنه ليس من اليسير جمع هذه العناوين في نظام واحد وإيجاد الترابط والانسجام بينها.

أما المناهج في تبويب الآيات فهي ثلاثة وباعتبار أنها نموذج لأفضل الاقتراحات المقدمة في هذا المضمار:

أولا: لعلّ الذهن يألف هذا التبويب أكثر من غيره، وهو أنّ مضمون الدين ينقسم إلى ثلاثة أقسام (العقائد، الأخلاق، الأحكام)، وقد نبّه على هذا التقسيم في موارد كثيرة، إذن هذا لون من ألوان التبويب يقسم معارف القرآن إلى ثلاثة أقسام: أحدها في أصول العقائد (التوحيد، النبوة، المعاد، العدل والإمامة) وما يتبع هذه الأصول كتفاصيل عالم البرزخ، الثاني في موضوع الأخلاق، والثالث في موضوع الأحكام،

ومن المعلوم أن فقهاءنا قاموا بهذه المهمة في موضوع الأحكام فألفوا كتباً تدور حول آيات الأحكام.

ثانيا: الاقتراح الثاني مبنيّ على أن القرآن جاء لهداية الناس، كما قال تعالى: «هُدًى لِّلنَّاسِ»(٣)

وللإنسان أبعاد مختلفة: مادية، معنوية، فردية، اجتماعية، دنيوية، أخروية، ولهذا فنحن نبوّب معارف القرآن حسب أبعاد وجود الإنسان، وعلى هذا فإن (الإنسان) يصبح محورا لهذا التبويب.

ومن الواضح أن هذا الأمر عملي وليس فيه إشكال أساسي، ولكن يبدو لنا أنّ الإشكال الفني فيه أقوى من الإشكال في الاقتراح الأول، لأننا عندما نتعمق في مفاهيم القرآن نجد أن عدّ الإنسان محوراً هو أمر غير مرغوب فيه من وجهة نظر القرآن، وهو تيار شائع في زماننا يسمى بالاتجاه الإنساني (هيومانيسم) يعدّ الإنسان هو الأصل، ثم يقيس كل شيء بالنسبة للإنسان! ولا يتفق القرآن مع هذا الاتجاه، لأننا نلاحظ أن جميع مفاهيم القرآن وفي أي باب كان، من عقائد وأخلاق ومواعظ وقصص وتشريعات وأحكام فردية واجتماعية و... لها جميعا محور واحد وهو (الله) تبارك وتعالى.

فهو عندما يبين لنا قانوناً أو حكما يقول: الله الذي أنزل عليكم هذا الحكم، وحينما يريد الحث على خلق معين يقول: إن الله يحبه.

«إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ»(٤)

«وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ»(٥)

«إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ»(٦)

لهذا فإن محور الأخلاق أيضا هو (الله) تبارك وتعالى، وبناء على هذا نستطيع أن نقول إنّ المحور في آيات القرآن الكريم هو (الله) تعالى، وليس المحور هو الإنسان، إذن من الانحراف أن نعدّ الإنسان هو المحور في معارف القرآن، بل لابد من عدّ (الله) هو المحور لها، ولابدّ من الإصرار على ذلك.

الإشكال الآخر الذي يورد هنا هو أن الأبعاد الوجودية للإنسان كانت مبهمة، ولم يكن أحد يعرف ما هو عدد أبعاد الإنسان حتى نقوم بتبويب الآيات حسب تقسيمنا للأبعاد الوجودية للإنسان، ويبدو لنا أنه لا يوجد ارتباط واضح بين الأبعاد الوجودية للإنسان.

ثالثا: المنهج الآخر وهو الذي يعدّ (الله) هو المحور، ثم يقوم بالتقسيم، ولا يجعل الأقسام في عـرض بعضها بل يجعلها في طول بعضها، أي أن معارف القرآن مثل نهر جار أو عين متدفقة تنحدر من منبع الفيض الإلهي، فتروي وتطفئ ظمأ كل شيء تصادفه:

« أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا »(٧)

إذن لابد أن ننظر إلى معارف القرآن كعين متدفقة تملأ مرحلة بعد أخرى، وهذا التقسيم للمراحل طولي وليس عرضيا.

وفي هذه الصورة تكون لها نقطة بدء تبدأ منها، وعندما ترتوي تفيض إلى المرحلة الثانية، في المرحلة الثانية فرع للمرحلة الأولى وليست في عرضها ولا قسيمة لها، وصحيح أن التقسيمات الطولية تنتشر شيئا فشيئا وتتفرع، ولكن الأساس الذي نسير عليه هو أن نأخذ بعين الاعتبار المعارف القرآنية حسب المراتب الطولية.

لماذا نرجّح هذا المنهج

أولا: لأن المحور فيه هو (الله) تبارك وتعالى، ولم نجعل بإزائه أي شيء آخر:

«هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ»(٨)

وهذا بعكس التقسيمات التي إمّا تضطرنا لاعتبار الإنسان محوراً وإما أن تدفعنا لتناول موضوع العقائد والتوحيد في عرض الأخلاق والأحكام، أي أنها قسيمة لها، بينما في منهجنا لا يوجد في البدء إلا موضوع واحد وليس إلى جانبه أي شيء آخر.

إذن الميزة الأولى لهذا المنهج هي أن محور التقسيـمات فيه هو (الله)، والثانية أن بين المسائل والتقسيمات يوجد ترتيب منطقي، ومن الطبيعي أن يكون للموضوع السابق لون من التقدم على الموضوع اللاحق، وهو تقدم واضح ومقبول، على العكس من التقسيمات التي كانت في عرض بعضها، فإن تقديم موضوع على آخر يحتاج إلى تبيين، وأحياناً يحتاج إلى تكلف، لو فرضنا أن الشؤون الفردية والاجتماعية بعدان لوجود الإنسان فمن منهما الذي يقدّم أم نقدمهما معا أو نقوم بتقسيم آخر على أساس الشؤون المادية والمعنوية؟ ولكنه إذا كان بين العناوين ترتيب طبيعي، وقمنا بالتبويب على أساس ذلك الترتيب الطبيعي والمنطقي، فإنه يصبح للتقديم والتأخير سبب واضح، ونظفر حينئذ بنظام منسجم خال من الإشكالات التي أوردت على المناهج الأخرى.

وبناء على هذا فمن الأفضل أن نجعل محور جميع المعارف القرآنية (الله) حيث ينسجم ذلك تماما مع روح التعاليم القرآنية، ونبدأ أولاً بمسائل معرفة الله، ثم نصل من طريق البحث في الأفعال الإلهية إلى مسائل معرفة العالم ومعرفة الإنسان، ثم نتناول سائر المواضيع الإنسانية عن طريق التدبير والتربية الإلهية بالنسبة للإنسان، وبهذا نحصل على نظام منسجم من المعارف، تتميز مسائله بمحور له أصالة حقيقية، وتتمتع حلقاته برابطة منطقية وترتيب واضح(٩).

---

(١) سورة ص، الآية: ٢٩.
(٢) سورة محمد، الآية: ٢٤.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٤.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٤٢.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.
(٦) سورة القصص، الآية: ٧٧.
(٧) سورة الرعد، الآية: ١٧.
(٨) سورة الحديد، الآية: ٣.
(٩) معارف القرآن للأستاذ محمد تقي المصباح: ج١، ص١٦.

الحلقة الثانية

شبهات أثيرت حول كتاب نهج البلاغة

ذكرنا في العدد السابق أن الشبهات حول كتاب نهج البلاغة قد تمحورت حول محاور ستة استعرضنا منها في العدد السابق ثلاث شبهات وبقيت ثلاث أخرى نستعرضها فيما يلي:

الشبهة الرابعة: احتواؤه على علوم منطقية وفلسفية لم تكن معروفة في زمن الإمام

لقد حاول ثلة من المشككين التشكيك في كتاب نهج البلاغة من خلال ادعائهم بأن في الكتاب مقدمات فلسفية ومنطقية لم تعهد في كلام العرب الذين عاشوا زمن الامام علي بن أبي طالب عليه السلام، ولم يستعمله العلماء إلاّ بعد ترجمة المنطق والعلوم الدخيلة، وذلك العصر لم يدركه الإمام عليه السلام.

منها خطبته التي يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وقوله فيها: (أول الدين معرفته، وكمال التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه؛ لشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف، وشهادة كلّ موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنّاه، ومن ثناه فقد جزّأه، ومن جزّأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن قال: فيم؟ فقد ضمّنه، ومن قال: علام؟ فقد أخلى منه، كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كلّ شيء لا بمقارنة، وغير كل شيء لا بمزايلة، فاعل لا بمعنى الحركات والآلة.. الخ».

فإنّ الفقرات مفرغة في قالب مقدّمات منطقية تفضي إلى نتيجة هي نفي الصفات عن الله تعالى، وتنتج أن من يثبت له الصفات فقد عده من الحوادث، وهذا الأسلوب المنطقي لم يعهد في كلام العرب، وفوق هذا، فإنّ تلك المباحث من مباحث علم الكلام، ونشأة ذلك العلم متأخر عن زمن الإمام علي في الوجود.

وقد أجاب الجلالي عن هذه الشبهة بقوله: (غريب جداً أن يستنكر من مفكّر عربي صدور مثل هذا الكلام، فإنّ المنطق ليس شيئاً ما وراء حياة الناس، وليس في الخطبة شيء من المصطلحات المنطقية المتأخرة، وإنما هي بيان حقائق تشير إلى حقائق أخر، والقضية المنطقية تحتاج إلى مقدمتين كبرى وصغرى يجمعها الحد الأوسط وبإسقاطه تثبت النتيجة، وليس في الخطبة شيء من ذلك).

وقد أجاب عن ذلك السيد الشهرستاني بقوله: (ان علماء الإسلام المتأخرين إنما توسعوا في علومهم بعد ما تعمّقوا في آيات التوحيد والمعارف القرآنية، وما وصل إليهم من خطب عليّ وكلماته في أبواب التوحيد والمعارف القرآنية، وشؤون العالم الربوبي، حتى أن الحجاج ألقى على علماء التابعين يوماً شبهة الجبر، فردّه كل منهم بكلام خاص انفرد به؛ لما سألهم عن المأخذ قال كل منهم: إنّه أخذ ذلك عن علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال الحجاج: لقد جئتموها من عين صافية.

ولقد كان ابن عم رسول الله يفيض على أبناء عصره ومصره بعلوم النبوة ومعارف الدين العالية، إلاّ أن أكثرهم لم يكونوا ليفهموها، بل كانوا يحملون هاتيك الكلم الجامعة إلى من ولدوا بعدهم كما قيل: رب حامل فقه إلى من هو أفقه.

ونظير هذا آيات التوحيد والرؤية والكلام والعدل، تلك الآيات التي تدبر فيها حكماء الإسلام في القرون المتأخّرة وأظهروا معارفها العالية التي لم تخطر ببال أحد في عصر الصحابة.

وأوضح برهان لنا في المقام: وجود جمل في خطب نهج البلاغة تنطق بحركة الأرض، وتنطبق على أصول الهيئة الجديدة ومسائلها التي حدثت بعد الألف الهجري؛ كقوله عليه السلام في صفة الأرض: «فسكنت على حركتها من أن تميد بأهلها أو تسيخ بحملها» وقوله عليه السلام: «وعدل حركتها بالراسيات من جلاميدها» وكلنا نعلم أن الرأي القائل بتحرّك الأرض مع سكونها الظاهر مستحدث من بعد (غاليلة الايطالي) و(كوبرنيك الألماني) و(نيوتن الانجليزي)، ورأى ثبوت الحركات العشر للأرض متأخر عنهم جداً. وكل هذه الآراء حادثة بعد انتشار شروح نهج البلاغة، فضلاً عن النهج الذي اشتهر أمره من قبلها، فهل يسوغ لامرئ ان يشك في تأليف نهج البلاغة وشروحه بحجّة أنها مشتملة على مسائل الهيئة المتأخرة عن الألف الهجري؟)[1].

والى ذلك يشير ابن أبي الحديد بقوله: «ان التوحيد والعدل والمباحث الشريفة الإلهية، ما عرفت إلاّ بكلام هذا الرجل [الإمام علي عليه السلام] وان كلام غيره من أكابر الصحابة لم يتضمّن شيئاً من ذلك أصلاً، ولا كانوا يتصوّرنه، ولو تصوّروه لذكروه، وهذه الفضيلة عندي من أعظم فضائله»[2].

الشبهة الخامسة: الإخبار بالغيب

قال عباس محمود العقاد في العبقريات الإسلامية ما نصه: «ومن المحقق الذي لا خلجة فيه من الشك عندنا أن النبوءات التي جاءت في نهج البلاغة عن الحجاج بن يوسف وفتنة الزنج وغارات التتار وما إليها، هي من مدخول الكلام عليه، ومما أضافه النساخ إلى الكتاب بعد وقوع تلك الحوادث بزمن قصير أو طويل. ولا نجزم مثل هذا الجزم في أمر المقامات التي خلت من بعض الحروف؛ لأنّ العقل لا يمنعها قطعاً كما يمنع استطلاع الغيب المفصل من أزياج النجوم، ولكنا نستبعد جداً أن تكون هذه المقامات من كلام الإمام لاختلاف الأسلوب واختلاف الزمن وحاجة النسبة هنا إلى سند أقوى

من السند الميسر لنا بكثير»[٣].

قد أشار إلى هذه الشبهة وأجاب عنها السيد الشهرستاني، حيث أتى بالحق الواضح فقال: (إن الغيب يختص علمه بالله سبحانه ومن ارتضاهم من أنبيائه وأوليائه، وكم حوت السنة النبوية أنباء غيبية وأخباراً عن الملاحم والفتن، وما ذلك عن النبي الكريم إلاّ بوحي من ربه العليم الخبير، كذلك لا ينطق ابن عمه وربيب حجره وصاحب سره في الملاحم والخفايا إلاّ بخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولقد قيل له عليه السلام: لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب؟ فأجاب عليه السلام: «ليس هو بعلم غيب وإنما تعلّم من ذي علم». ولا غرو فقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه أنه قال: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»، وقول علي عليه السلام: «لقد علّمني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألف باب من العلم يفتح من كل باب ألف باب».

فمن اختص من مهبط الوحي ومدينة العلم بمثل هذا الاختصاص لا يستغرب منه أن يملأ الكتب من أسرار الكائنات وكامنات الحوادث، ولنعتزل عن خطبه المروية في النهج ونسلك آثاره المتواترة في التاريخ، فقد روى عنه المؤرخون كالمسعودي في مروج الذهب وابن أبي الحديد في شرح النهج وابن بطة في الإبانة وأبي داود في السنن وغيرهم في غيرها إنه تنبأ بمصير الخوارج حينما أخبره الناس بأنهم عبروا النهر، قال عليه السلام: «لا يفلت منهم عشرة، ولا يقتل منا عشرة»، فكان الأمر كذلك واستفاض عنه الخبر بمقتله وإنه سوف يخضب أشقاها هذه من هذه - أشار بيده إلى لحيته وجبهته - وكان إذا رأى ابن ملجم قال:

أريد حياته ويريد قتلي
عذيرك من خليلك من مراد

واستفاضت أنباؤه في توسّع ملك بني أمية وبني العباس، وخبره مقتل الحسين في كربلاء)[٤].

الشبهة السادسة: الأعداد والتقاسيم المتوازية

وذهب فؤاد أفرام البستاني إلى الشك من جهة طريقة الأعداد والتقاسيم المتوازية، وقال ما لفظه: «بيد أنّا نرى سبباً جديداً يدفعنا إلى الشك في بعض مقاطع حكمية وتفسيرية من التي تدخل فيها الأعداد والتقاسيم المتوازية، المتشعّبة، المتّفقة عدداً كقوله: «الاستغفار على ستة معان» و«الإيمان على أربع دعائم: على الصبر، واليقين والعدل، والجهاد. والصبر منها على أربع شعب .. الخ» بتقسيم كل دعامة إلى أربع شعب، وكذلك الكفر وتقسيمه إلى أربع دعائم، والشك إلى أربع شعب؛ وغير ذلك. فإنّ استعمال الطريقة العددية في الشروح، وتقسيم الفضائل أو الرذائل على أسلوبها، لا نراه في الآداب الجاهلية، بل لا نكاد نعرفه في الأدب الإسلامي إلاّ بعد ظهور كتاب «كليلة ودمنة» المعرّب. وإذا علمنا أنّ إدخال الأعداد في الحكمة الأخلاقية، وفي ترتيب المجرّدات والمعقولات، له الدور المهم في المذاهب المتشعّبة عن الطريقة الفيثاغورية أو الافلاطونية الحديثة؛ وإذا علمنا ان العرب لم يعرفوا هذه الفلسفة إلاّ بترجمة كتب اليونان في العصر العباسي الأول وإذا علمنا أنّ الشريف الرضي كان من الحكماء الأجلاء، والعلماء المعروفين، وانه عاش في العصر العباسي الثالث، ساغ لنا هذا الشك»[٥].

وهذه الشبهة تقوم على خلط أمرين:

الأول: اختصاص طريقة الأعداد بشعب من الشعوب دون آخر.

الثاني: كلية طريقة الأعداد في بعض الشعوب دون بعض، فدعوى الاختصاص يستلزم حصر التفكير في طائفة من البشر وسلبها عن غيرهم، ولا نظن أحداً يقول بذلك. وأما غلبة إتباع طريقة خاصة وأسلوب خاص في التفكير والعبادات فأمر واقع.

وطريقة الأعداد المستعملة في نهج البلاغة ليست غالبة، بل هي في موارد لا تتعدى رؤوس الأصابع.

وقد حصلت بالفعل هذه الطريقة في الحضارات الأخرى كالهند والفرس، وكليلة ودمنة خير شاهد لذلك، وكذلك في الأحاديث النبوية، بل لكل مفكّر يريد أن يسرد الأسباب والنتائج ان ينظّمها في تفكيره مترتبة بالأعداد وإن لم يذكرها بالأرقام، فإنّ التفكير في إطار الأرقام ليس حصراً على أمة خاصة، بل يعم كل المفكرين من البشر.

وقد جاء الاهتمام بالعدد في القرآن الكريم في قصة ميعاد موسى بثلاثين ليلة وإتمامها «بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة».

كما جاءت المواعظ النبوية معتمدة على التقسيم العددي من الآحاد والعشرات، وخاصة الأربعين حديثاً[٦].

وقد جمع الأحاديث العددية الشيخ أبو جعفر محمد بن علي الصدوق (ت٣٨١هـ) في تأليف مفرد بعنوان «الخصال» طبع في النجف الأشرف سنة ١٣٩١هـ.

كما جمع السيد محمد بن محمد بن الحسن الحسيني العيناثي (ت/١٠٦٨ح) الأحاديث العددية من الآحاد والعشرات عن النبي والأئمة وغيرهم في كتاب «الاثنى عشرية في المواعظ العددية» وطبع في سنة ١٣٢٢هـ.

ثم جاء المتأخرون من المحدّثين وتجاوزوا التقسيم العددي إلى المئات والألوف، واقتبس ذلك العلماء وكتبوا الألفية في النحو والفقه، منها الألفية في النحو لمحمد ابن مالك الجياني، والألفية في الفقه لمحمد بن مكي الشهيد الأول.

ومن ذلك يظهر بوضوح أن الاهتمام بالنظام العددي ـ بصورة بدائية ـ كان القرآن الكريم والأحاديث النبوية ثم تطوّر حسب تطوّر الثقافة حتى العصور المتأخرة، ككل الأفكار الانسانية التي تتطوّر بتطوّر الحاجة والضرورة.

ولا يمكن للمنصف أن ينكر توافق الآراء في شيء او أسلوب، ولا يمكن القول بالاقتباس إلا فيما إذا كثر ذلك في الأسلوب المتأخر، وليس الأمر كذلك في النهج، فإن التقسيم العددي قليل بالنسبة إلى غيره من الأساليب مع أن المواعظ العددية في تراث النبي صلى الله عليه وآله وسلم كثيرة.

---

(١) ما هو نهج البلاغة: ٥٩.
(٢) شرح ابن أبي الحديد: ج٢، ص١٢٠.
(٣) العبقريات الإسلامية: ٧٥٢.
(٤) ما هو نهج البلاغة: ٥٥، وراجع ص٢٠٨، من المجلد الأول من شرح ابن أبي الحديد على النهج، ففيه جمهرة من الروايات في إخباره عليه السلام عن المغيبات وكذا ص ٤٢٥ منه.
(٥) الروائع، لفؤاد افرام البستاني: ٣٢.
(٦) راجع الذريعة: ١، ٤٠٩ ــ ٤٣٦، طبعة النجف سنة ١٣٥٥ هـ.

بحث علمي استدلالي حول حديث الكساء

حديث الكساء والذي حصر فيه النبي الأمي صلى الله عليه وآله أهل بيته في: علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام بقوله «اللهم هؤلاء أهل بيتي»، وأخرج منه نساءه وزوجاته بقوله صلى الله عليه وآله لأم المؤمنين أم سلمة - أفضل زوجاته بعد خديجة عليها السلام - (مكانك إنكِ على خير، إنكِ على خير) من الأحاديث المستفيضة والمقطوع بصدورها عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وبمجموع ما رواه الخاصة والعامة تصل طرق هذا الحديث الشريف إلى مرتبة التواتر بلا ريب، وهو مستفيض - بل متواتر - عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها.

وحديث الكساء المروي عن فاطمة الزهراء عليها السلام، والمشهور بين الطائفة، والذي يُتَبرك بذكره وتلاوته آناء الليل والنهار في مجالس المؤمنين لقضاء الحوائج واستجابة الدعاء والتنفيس عن الهموم، والذي ورد فيه قول الباري سبحانه وتعالى: (إني ما خلقت سماء مبنية ولا أرضا مدحية، ولا قمرا منيرا، ولا شمسا مضيئة ولا فلكا يدور، ولا بحرا يجري، ولا فلكا يسري إلا في محبة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء)[1] سنده قابل للاعتماد، ومضمونه ضروري الاعتقاد.

تقييم سند الحديث

أما السند فيرويه المحدث الحافظ المتتبع الخبير الشيخ عبد الله بن نور الله البحراني نزيل أصفهان، في كتابه القيّم الجامع «عوالم العلوم والمعارف» بسند راق جداً عن مشايخ الطائفة إلى الثقة المأمون الذي أجمعت الطائفة على تصحيح ما يصح عنه والذي عُرف بأنه لا يروي إلا عن الثقات الحافظ الشيخ أحمد بن محمد ابن أبي نصر البزنطي أبو جعفر قدس سره، عن القاسم بن يحيى الجلاء، عن أبي بصير، عن أبان بن تغلب، عن جابر الجعفي عن جابر بن عبد الله الأنصاري.

وليس في السند من يتوقف في وثاقته وجلالته وعدالته إلا القاسم بن يحيى الجلاء، ولعله ثمّة تصحيف في السند، فتكون صورة السند هكذا «البزنطي عن يحيى بن القاسم أبي بصير عن أبان» فإن البزنطي يروي عن أبي بصير مباشرة وبالواسطة.

والأمر سهل فهو وإن كان مجهولا - على فرض عدم القول بالتصحيف - فرواية البزنطي عنه كافية في الوثاقة بصدورها، إذ إن الطائفة أجمعت على أن البزنطي رحمه الله لا يروي إلا عن ثقة وأجمعوا كذلك على تصحيح ما يصح عنه، وفي هذا الصدد يقول الشيخ الطوسي: (أجمع أصحابنا على تصحيح ما يصح عن هؤلاء وتصديقهم وأقروا لهم بالفقه والعلم: وهم ستة نفر...منهم يونس بن عبد الرحمن، وصفوان بن يحيى بياع السابري، ومحمد ابن أبي عمير، وعبد الله بن المغيرة، والحسن بن محبوب، وأحمد بن محمد بن أبي نصر - وهو البزنطي -)[2].

فرواية هؤلاء سواء كانت مرسلة أو مسندة حجة، وقد ذهب السيد الداماد والشيخ البهائي والعلامة الحلي والشهيد والمجلسيان وبحر العلوم أن معقد الإجماع دال على وثاقة هؤلاء الأشخاص ووثاقة من بعدهم فيكون من بعدهم ثقة وإن كان مجهول الحال عندنا، وفي هذا الصدد يقول الشيخ الطوسي: (وإذا كان أحد الراويين مسنداً والآخر مرسلا، نظر في حال المرسل، فإن كان ممن يعلم أنه لا يرسل إلا عن ثقة موثوق به فلا ترجح لخبر غيره على خبره، ولأجل ذلك سوت الطائفة بين

ما يرويه ابن أبي عمير وصفوان والبزنطي وغيرهم من الثقات الذين عرفوا بأنهم لا يروون ولا يرسلون إلا عمن يوثق به، وبين ما أسنده غيرهم، ولذلك عملوا بمراسيلهم إذا انفرد عن رواية غيرهم)(٣).

مضمون الحديث

أما مضمون الحديث فمما لا خلاف فيه بين الإمامية من كون الرسول وآل الرسول صلى الله عليهم أجمعين علة غائية لعالم الإمكان، والدليل العقلي والكشفي والوجداني الفطري والنقلي المتواتر دال بصراحة على ذلك.

وتوضيح ذلك: حيث إن خلاصة عالم الخلقة هو الإنسان، فلا موجود أشرف منه، فسائر الأشياء مخلوقة ومسخرة له، كما قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٤)، وقال تعالى في الحديث القدسي المأثور (خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي).

ولذا أسجد الله عز وجل الملائكة كلهم أجمعين للإنسان كما هو صريح قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾(٥) بما في ذلك الملائكة الأربعة المدبرة لعالم الإمكان وهم: جبرئيل وميكائيل وعزرائيل وإسرافيل، وغيرهم من الملائكة المدبّرين العاملين بأمر الله عز وجل المشار إليهم في قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ① وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ② وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ③ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ④ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾(٦)، فالإنسان أفضل ما خلق الله عز وجل، وهو المؤهل بأن يكون خليفة له تعالى وتقدّس، وليست هذه الخاصية - خلافة الله عز وجل - تتصف بها الملائكة مع عظم محلهم وقدسيتهم.

وبما أن أفراد الإنسان بعضهم أشرف من بعض، وبعضهم أكمل من بعض، صحّ أن نجعل الكامل غاية لمن هو دونه في الكمال.

ولا خلاف بين أهل الإسلام قاطبة بأن أفضل الخلق على الإطلاق هو: سيد الأنبياء وخاتم المرسلين النبي الأمي صلى الله عليه وآله، كما لا خلاف أيضا بين الإمامية وجمع كبير من العرفاء والمتصوفة بأن الذي يتلو النبي صلى الله عليه وآله درجة هو: علي بن أبي طالب عليهما السلام، والذي هو من النبي صلى الله عليه وآله كنفسه، المشار إليه في قوله تعالى في آية المباهلة ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾(٧)، والمُفسّر بقوله صلى الله عليه وآله (علي مني وأنا منه)(٨)، والمؤكد عليه في قوله صلى الله عليه وآله (لينتهين بنو وليعة أو لأبعثن إليهم رجلاً كنفسي - يعني علياً -)(٩).

ثم تتلوهما درجة ومرتبة فاطمة ثم الحسن والحسين ثم الأئمة التسعة من صلب الحسين عليهم السلام. فهم عليهم أفضل الصلاة والسلام خلاصة الخاصة من البشر، والكلمات التي توسل بها آدم عليه السلام فتاب الله عز وجل عليه، وبحقهم نجّى الله عز وجل نوحاً من الغرق، وإبراهيم من الحرق، وموسى من القتل، وعيسى من الصلب.

والأحاديث الدالة على أنهم عليهم السلام علة غائية لخلق العالم كثيرة جداً، ومدونة في الكتب المعتبرة والمعتمدة لدى الطائفة الحقة، والتي عليها المعوّل وإليها المرجع في معرفة وتلقي روايات الثقل الذي خلّفه رسول الله صلى الله عليه وآله في الأمة مع القرآن الكريم.

فبعض هذا الروايات المعتبرة على غرار حديث الكساء والبعض الآخر لسانها: بنا بدأ الله وبنا يختم، وبنا أثمرت الأشجار وأينعت الثمار، وجرت الأنهار وبنا ينزل غيث السماء وينبت عشب الأرض.

والبعض الثالث: بنا عرف الله وبنا وحد الله وبنا عبد الله، ولولانا ما عرف الله.

والبعض الرابع: نحن وجه الله وعينه وجنبه ولسانه ويده المبسوطة، ورحمته الواسعة.

والبعض الخامس: نحن أسماء الله الحسنى، وكلماته العليا وآياته العظمى، والمثل الأعلى له تعالى وتقدس.

والبعض السادس: أن ولايتهم مفروضة على جميع الأنبياء والمرسلين.

والبعض السابع: توسل الأنبياء بهم عليهم السلام.

وطوائف مختلفة من الروايات الصحيحة الصادرة عنهم عليهم أفضل الصلاة والسلام والمودعة في الكتب المعتبرة لدى الطائفة، والدالة صراحة على أنهم علة غائية لعالم الإمكان والذي هو مفاد حديث الكساء المشهور.

فهم عليهم أفضل الصلاة والسلام حقيقة الأسماء التي علمها الله عز وجل أبانا آدم عليه السلام، وعين الله وجنبه ولسانه ويده، ورحمته الواسعة، وجلاله وكلماته وأسماؤه وآياته، كما هو صريح الروايات المتكاثرة الصحيحة.

خلاصة الكلام

سند حديث الكساء المشهور بين الطائفة قابل للاعتماد والاعتبار عند الأكثر بل المشهور، ومضمونه من أبجديات عقائد الإمامية، فالتشكيك في مضمون الحديث وجعل ضعف السند تبريراً لذلك حيلة العاجز وبضاعة الفقير.

فالحكم بضعف السند - إن سُلّم - من دون الإشارة إلى صحة المضمون وعلوه وضرورته وكونه من أبجديات عقائد الإمامية، جهل بعقائد أهل الإيمان، أو نقص في الإيمان بهم عليهم السلام، أو تقصير في البحث والتتبع، إحدى هذه الثلاث.عصمنا الله و إياكم من الزّلل، ونوّر طريقنا بمحمد وآله الطاهرين. والحمد لله رب العالمين.

---

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين للجنة الحديث في معهد باقر العلوم ص ٧٦ - ٧٧.

(٢) اختيار معرفة الرجال للشيخ الطوسي ج ٢ ص ٨٣٠.

(٣) عدة الأصول للشيخ الطوسي ج١ ص٣٨٧.

(٤) سورة الجاثية الآية رقم ١٣.

(٥) سورة الحجر الآية رقم ٣٠.

(٦) سورة النازعات الآية رقم ١ - ٥.

(٧) سورة آل عمران الآية رقم ٦٠.

(٨) حديث مستفيض رواه العامة والخاصة، راجع: المصنف لابن أبي شيبة: ٤٩٥/٧، ٥٠٤. كتاب السنة: ٥٥٠ قال الألباني: حديث صحيح، والحديث أخرجه الترمذي وابن حبان والحاكم وأحمد. السنن الكبرى للنسائي: ٤٥/٥، ومصادر جمة.

(٩) السنن الكبرى: ١٢٧/٥ رقم ٨٤٥٧ بسند حسن بن صحيح عن أبي ذر. المصنف لابن أبي شيبة: ٧/ ٤٩٩، ٥٠٦ عن أبي ذر وعبد الله بن شداد بسندين حسنين، وفي ٥٤٣/٨ عن عبد الرحمن بن عوف بسند حسن. مسند أبي يعلى: ١٦٥/٢ رقم ٨٥٩. المستدرك: ١٢٠/٢، قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ومصادر عدة.

اعتدال الأخلاق المحمودة واستحصالها

الطريق لحفظ اعتدال الفضائل ـ قانون العلاج في الطب الروحاني ـ طريقة معرفة الأمراض النفسية ـ المعالجات الكلية لأمراض النفس ـ المعالجات الخاصة لأمراض النفس، وله أربعة مقامات:

الأول ما يتعلق بالقوة العاقلة من الرذائل والفضائل وكيفية علاج الرذائل.

الثاني ما يتعلق بالقوة الغضبية من الرذائل والفضائل وكيفية العلاج.

الثالث ما يتعلق بالقوة الشهوية من الرذائل والفضائل وكيفية العلاج.

الرابع ما يتعلق بالقوى الثلاث أو باثنتين منها، وفي فصول.

الطريق لحفظ اعتدال الفضائل

قد تقرر في الطب الجسماني أن حفظ الصحة بإيراد المثل وملائم المزاج فيجب أن يكون حفظ اعتدال الفضائل أيضاً بذلك، وإيراد المثل لحفظ اعتدالها يكون بأمور:

اختيار مصاحبة الأخيار، والمعاشرة مع أولي الفضائل الخلقية واستماع كيفية سلوكهم مع الخالق والخليقة، والاجتناب عن مجالسة الأشرار وذوي الأخلاق السيئة، والاحتراز عن استماع قصصهم وحكاياتهم وما صدر عنهم من الأفعال ومزخرفاتهم، فإن المصاحبة مع كل أحد أقوى باعث على الاتصاف بأوصافه، فإن الطبع يسترق من الطبع كلاً من الخير والشر.

والسر أن النفس الإنسانية ذات قوى بعضها يدعو إلى الخيرات والفضائل وبعضها يقتضي الشرور والرذائل، وكلما حصل لأحدهما أدنى باعث لما تقتضيه جبلته مال إليه وغلب على صاحبه إلى الخير، ولكون دواعي الشر من القوى أكثر من بواعث الخير منها، يكون الميل إلى الشر أسرع وأسهل بالنسبة إلى الميل إلى الخير، ولذا قيل: إن تحصيل الفضائل بمنزلة الصعود إلى الأعالي وكسب الرذائل بمثابة النزول منها، وإلى ذلك يشير قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

(حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات).

إعمال القوى في شرائف الصفات، والمواظبة على الأفعال التي هي آثار فضائل الملكات، وحمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق الذي يريد حفظه، فالحافظ لملكة الجود يجب أن يواظب على إنفاق المال وبذله على المستحقين، ويقهر على نفسه عند وجدان ميلها إلى الإمساك، والحافظ لملكة الشجاعة يجب ألا يترك الإقدام في الأخطار والأهوال بشرط إشارة العقل، ويغضب على نفسه عند وجدان الجبن منها، وهكذا الحال في سائر الصفات، وهذا بمثابة الرياضة الجسمانية في حفظ الصحة البدنية.

أن يقدم التروي على كلما يفعله، لئلا تصدر عنه غفلة خلاف ما تقتضيه الفضيلة، ولو صدر عنه أحياناً خلاف مقتضاها، فليؤدب نفسه بارتكاب ما يضاده، ويشق عليها عقوبة، بعد تعييرها وتوبيخها، كما إذا أكل ما يضره من المطاعم فليؤدبها بالصوم، وإذا صدر عنه غضب مذموم في واقعة فليؤدبها بإيقاعها في مثلها مع الصبر عليها، أو في معرض إهانة السفهاء حتى يكسر جاهه أو يؤدبها بارتكاب ما يشق عليها من النذر والصدقة وغير ذلك.

وينبغي ألا يترك الجد والسعي في التحصيل والحفظ وإن بلغ الغاية لأن التعطيل يؤدي إلى الكسالة وهي إلى انقطاع فيوضات عالم القدس، فتنسلخ الصورة الإنسانية وتحصل الهلاكة الأبدية، والسعي يوجب ازدياد تجرد النفس وصفائها والأنس بالحق والألف بالصدق، فيتنفر عن الكذب والباطل، ويتصاعد في مدارج الكمالات ومراتب السعادات، حتى تنكشف له الأسرار الإلهية والغوامض الربانية، ويتشبه بالروحانيات القادسة وينخرط في سلك الملائكة المقدسة.

ويجب أن يكون سعيه في أمور الدنيا بقدر الضرورة، ويحرم على نفسه تحصيل الزائد، لأنه لا شقاوة أشد من صرف الجوهر الباقي النوراني في تحصيل الخزف الفاني الظلماني الذي يفوت عنه وينتقل إلى أعدائه من الوارث وغيرهم.

أن يحترز عما يهيج الشهوة والغضب رؤية وسماعاً وتخيلا، ومن هيجهما كمن هيج كلباً عقورا أو فرسا شموسا، ثم يضطر إلى تدبير الخلاص منه، وإذا تحركتا بالطبع فليقتصر في تسكينهما بما يسد الخلة ولا ينافي حفظ الصحة، وهو القدر الذي جوزه العقل والشريعة.

أن يستقصي في طلب خفايا عيوب نفسه، وإذا عثر على شيء منها اجتهد في إزالته، ولما كانت النفس عاشقة لصفاتها وأفعالها، فكثيرا ما يخفى عليها بعض عيوبها، فيلزم على كل طالب للصحة وحافظها أن يختار بعض أصدقائه ليتفحص عن عيوبه ويخبره بما اطلع عليه، وإذا أخبره بشيء منها فليفرح وليبادر إلى إزالته حتى يثق صديقه بقوله، ويعلم أن إهداء شيء من عيوبه إليه أحسن عنده من كل ما يحبه ويهواه، وربما كان العدو في هذا الباب أنفع من الصديق، لأن الصديق ربما يستر العيب ولا يظهره، والعدو مصر على إظهاره، بل ربما يتجاوز إلى البهتان، فإذا أظهر الأعداء عيوبه فليشكر الله على ذلك وليبادر إلى رفعها وقمعها.

ومما ينفع في المقام أن يجعل صور الناس مرايا لعيوبه ويتفقد عيوبهم، وإذا عثر على عيب منهم تأمل في قبحه، ويعلم أن هذا العيب إذا صدر عنه يكون قبيحا ويدرك غيره هذا القبح، فليجتهد في إزالته، وينبغي أن يحاسب نفسه في آخر كل يوم وليلة، ويتفحص عن جميع ما صدر من الأفعال فيهما فإن لم يصدر عنه شيء من القبائح والذمائم فليحمد الله على حسن تأييده، وإن صدر عنه شيء من ذلك فليعاتب نفسه ويتوب، ويجتهد في ألا يصدر عنه بعد ذلك مثله.

طريق معرفة الأمراض النفسانية

الأمراض النفساني هي انحرافات الأخلاق عن الاعتدال، وطريق معرفتها: أنك قد عرفت أن القوى الإنسانية محصورة في أنواع ثلاثة: أحدها قوة التمييز

وثانيها قوة الغضب ويعبر عنها بقوة الدفع، وثالثها قوة الشهوة ويعبر عنها بقوة الجذب.

وانحراف كل منها إما في الكمية أو في الكيفية، والانحراف في الكمية إما للزيادة من الاعتدال أو للنقصان عنه، والانحراف في الكيفية إنما يكون برداءتها، فأمراض كل قوة إما بحسب الإفراط أو التفريط، أو بحسب رداءة الكيفية.

فالإفراط في قوة التمييز: كالجربزة والدهاء، والتجاوز عن حد النظر، والمبالغة في التنقير، والتوقف في غير موضعه للشبه الواهية، والحكم على المجردات بقوة الوهم، وإعمال الذهن في إدراك ما لا يمكن دركه، والتفريط فيه كالبلاهة، وقصور النظر عن درك مقدار الواجب، كإجراء أحكام المحسوسات على المجردات.

والرداءة كالسفسطة في الاعتقاد، والميل إلى العلوم غير اليقينية ـ كعلم الجدل والخلاف ـ أزيد مما يميل إلى اليقينيات واستعمالهما في مقام اليقينيات، والشوق إلى علم الكهانة والشعبذة وأمثالهما للوصول إلى الشهوات الخسيسة.

وأما الافراط في قوةالدفع: كشدة الغضب والغيظ وفرط الانتقام بحيث يتشبه بالسباع، وأما التفريط، كعدم الغيرة والحمية والتشبه بالأطفال والنسوان في الأخلاق والصفات، وأما الرداءة فيها: كالغيظ على الجمادات والبهائم أو على الناس لا بسبب موجب للانتقام.

وأما الافراط في قوة الجذب: فكالحرص على الأكل والجماع أزيد من قدر الضرورة، والتفريط فيه: فكالفتور عن تحصيل الأقوات الضرورية وتضييع العيال والخمود عن شهوة حتى ينقطع عنه النسل، أما الرداءة فيها: كشهوة الطين والميل إلى مقاربة الذكور.

ثم إنك قد عرفت أن أجناس الفضائل أربعة، فأجناس الرذائل بحسب الكمية ثمانية، لكل فضيلة ضدان كل منهما ضد للآخر، وبحسب الكيفية أربعة، ويحصل من تركيبها وامتزاجها أنواع وأصناف لا يعد كثرة، كما عرفت أكثرها.

أسباب الأمراض النفسانية

اعلم أن أسباب الانحراف في الأخلاق، إما نفسية حاصلة في النفس في بدو فطرتها، أو حادثة من مزاولتها للأعمال الردية، أو جسمية ـ وهي الأمراض الموجبة لبعض الملكات الردية ـ والسر في ذلك أن النفس لما كانت متعلقة بالبدن علاقة ارتباطية، فيتأثر كل منهما بتأثر الآخر، وكل كيفية تحدث في أحدهما تسري في الآخر، كما أن غضب النفس أو تعشقها يوجب اضطراب البدن وارتعاشه، وتأثر البدن بالأمراض، (لا) سيما إذا حدثت في الأعضاء الرئيسية يوجب النقص في إدراك النفس وفساد تخيلها وكثيرا ما يحدث من بعض الأمراض السوداوية فساد الاعتقاد والجبن وسوء الظن، ومن بعضها التهور، ويحصل من أكثر الأمراض سوء الخلق.

المعالجات الكلية لمرض النفس

سبب الانحراف إن كان مرضا جسمانياً فيجب أن يبادر إلى إزالته بالمعالجات الطبية، وإن كان نفسانيا فالمعالجة الكلية هنا كالمعالجة الكلية في الطب الجسماني، والمعالجة الكلية فيه أن يعالج المرض أولا بالغذاء الذي هو ضد المرض طبعا، كأن يعالج المرض البارد بالغذاء الحار، فإن لم ينفع فبالدواء وإن لم ينجح فبالسمومات، وإن لم يحصل بها البرء فبالكي أو القطع، وهو آخر العلاج.

فالقانون الكلي في المعالجة هنا أيضاً كذلك، وهو أن يبادر بعد معرفة الانحراف إلى تحصيل الفضيلة التي هي ضده، والمواظبة على الأفعال التي هي آثارها، وهذا بمنزلة الغذاء المضاد للمرض، فكما أن حصول الحرارة في المزاج يدفع البرودة الحادثة فيه، فكذا كل فضيلة تحدث في النفس تزيل الرذيلة التي هي ضدها، فإن لم ينفع فليوبخ النفس ويعيرها على هذه الرذيلة فكراً أو قولا أو عملا، ويعاتبها يخاطبها بلسان الحال والمقال: أيتها النفس الأمارة قد هلكت وتعرضت لسخط الله وغضبه، وعن قريب تعذبين في النار مع الشياطين والأشرار.

فإن لم يؤثر ذلك فليرتكب آثار الرذيلة التي هي ضد هذه الرذيلة، بشرط محافظة التعديل، فصاحب الجبن مثلاً يعمل أعمال المتهورين، فيخوض في المخاوف والأهوال، ويلقي نفسه في موارد الحذر والأخطار، وصاحب البخل يكثر من بذل الأموال، بشرط أن يكف إذا قرب زوال الجبن والبخل لئلا يقع في التهور والإسراف، وهذا بمنزلة المداواة بالسم، فإن لم ينفع ذلك لقوة استحكام المرض فليعذب النفس بأنواع التكاليف الشاقة والرياضات المتعبة المضعفة للقوة الباعثة على هذه الرذيلة وهذا بمثابة الكي والقطع، وهو آخر العلاج.

المعالجات الخاصة لمرض النفس

لما عرفت المعالجة الكلية الشاملة لجميع الرذائل بأجناسها وأنواعها وأصنافها، فلنشتغل الآن ببيان معالجة كل من الرذائل بخصوصه، وقد عددنا قبل ذلك ما يتعلق بالقوى الثلاث من الرذائل وأضدادها من الفضائل مما له اسم مشهور، فهنا نذكر معالجة كل رذيلة بخصوصها، ونذيله بذكر ما يضادها من الفضيلة، وما ورد في مدحها عقلاً ونقلاً، لأن العلم بمعرفة كل فضيلة وحسنة أعون شيء على إزالة ما يضادها من الرذيلة.

وربما كانت جملة من الرذائل المختلفة في الاسم مشتركة في المعالجة، وربما كان للرذائل أو الفضائل المتعددة ضد واحد منهما، فنحن نشير إلى ما ذلك، ونشير أيضاً في تلو كل رذيلة وفضيلة إلى يتولد منهما من أفعال الجوارح مع معالجته ـ إن كان له ذلك ـ ونراعي الترتيب المذكور في مقام الإجمال: فنذكر أولا ما يتعلق بالقوة العاقلة من الجنسين وأنواعهما، ثم ما يتعلق بالقوة الغضبية، ثم ما يتعلق بالشهوية، ثم ما يتعلق بثلاث والاثنتين منها.[١]

---

(١) جامع السعادات للمولى النراقي: ج١، ص٧٩ ـ ٨٢.

سبق في العدد السابق بحث واستعراض الشروط والمواصفات التي ينبغي توفرها في الإمام واستعرضنا بعض هذه الشروط وبينا موضع الاتفاق وموضع الاختلاف في هذه الشروط بين الشيعة الإمامية وبين أهل السنة، ووصلنا في البحث إلى صفة العلم، وقد أوضحنا أن شرط العلم قد أجمعت عليه جميع الفرق الإسلامية، وأنّ القرآن والسنة قد نبها عليه في مواضع لا حصر لها.

وأوضحنا في العدد السابق ان شرط العلم وان كان شرطا مجمعاً عليه بين المسلمين إلا أن الاختلاف قد وقع في مقدار هذا العلم الذي يجب توفره في الإمام وحدوده، وبينا أن أهل السنة قد اختلفوا فيما بينهم على ثلاث فرق:

الفرقة الأولى: اشترطوا أن يكون الإمام قد وصل في علمه إلى مرتبة الاجتهاد، وهم الجمهور الأعظم منهم.

الفرقة الثانية: لم يشترطوا الاجتهاد في الإمام ولا اشترطوا ان يكون خبيرا بمواقع الاجتهاد.

الفرقة الثالثة: قالوا بضرورة أن يكون الإمام على درجة كافية من العلم الشرعي ومن العلوم الأخرى لان طبيعة عمله تستلزم ذلك، ولكن ليس من الضروري في نظرهم أن يبلغ درجة الاجتهاد المطلق لتعذره في كثير من الناس، فإذا وجد مجتهد تتوفر فيه بقية الشروط الضرورية والمنصوص عليها كالاجتهاد المطلق أو النسبي فهو المطلوب وإلا فلا تترك مصالح المسلمين معطلة ويدب الفساد فيهم بسبب عدم وجود المجتهد الذي تتوفر فيه شروط الإمامة، فيقدم حينئذ ما هو متوفر.

وقد ختمنا البحث بقولنا: إن الشيعة الإمامية لهم في مسألة علم الإمام كلام كثير واسع يحتاج إلى مساحة خاصة وهو ما سنقوم بمناقشته في هذا العدد إن شاء الله تعالى.

يجب أن يكون الإمام أعلم الأمة

أجمعت كلمة الشيعة الإمامية تبعا لائمتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بوجوب أن يكون الإمام أعلم أهل زمانه، وفي هذا الصدد يقول الشريف المرتضى في (رسائل المرتضى ج ٣ ص ٢٠ ـ ٢١): (وواجب أن يكون ـ الإمام ـ أفضل من رعيته وأعلم، لقبح تقديم المفضول على الفاضل فيما كان أفضل منه فيه في العقول).

ويقول الشيخ الطوسي في (الاقتصاد ص١٩٢): (ويجب أن يكون الإمام عالما بتدبير ما هو إمام فيه من سياسة رعيته والنظر في مصالحهم وغير ذلك بحكم العقل. ويجب أن يكون أيضا بعد الشرع عالما بجميع الشريعة، لكونه حاكما في جميعها. يدل على ذلك أنه لا يحسن من حكيم من حكماء الملوك أن يولي وزارته والنظر في مملكته من لا يحسنها أو لا يحسن أكثر من ذلك، ومتى فعل ذلك كان مضيعا لمملكته واستحق الذم من العقلاء. وكذلك لا يحسن من أحدنا أن يوكل إنسانا على النظر في أمر ضيعته وأهله وولده وتدبير أموره من لا يعرف شيئا منها أو أكثرها، ومتى فعل ذلك ذموه العقلاء وقالوا له: ضيعت أمر أهلك وضيعتك).

ويقول ابن ميثم البحراني في (قواعد المرام في علم الكلام ص١٧٩ ـ ١٨٠): (وجب أن يكون ـ الإمام ـ مستجمعا لأصول الكمالات النفسانية، وهي: العلم، والعفة، والشجاعة، والعدالة. فأما العلم فلا بد وأن يكون عالما بما يحتاج إليه في الإمامة من العلوم الدينية والدنيوية كالشرعيات والسياسات والآداب وفصل الحكومات والخصومات، إذ لو جاز أن يكون جاهلا بشيء منها مع حاجة إمامته إلى ذلك لكان مخلا ببعض ما يجب عليه تعلمه، والإخلال بالواجب ينافي العصمة).

أما الشيخ المظفر فيقول في (عقائد الإمامية ص٦٧): (ونعتقد أن الإمام كالنبي يجب أن يكون أفضل الناس في صفات الكمال من شجاعة وكرم وعفة وصدق وعدل، ومن تدبير وعقل وحكمة وخلق).

علم الإمام في أحاديث أهل البيت عليهم السلام

لقد تحدثت روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بشكل مسهب وتفصيلي عن مسألة علم الإمام وسعته وتفاصيله وأصله ومنشأه وأنواعه، ولا يمكن لنا في هذه الصفحات الإحاطة بجميع التفصيلات ولا الإلمام بجميع أطراف هذا الموضوع ولكننا سنحاول استعراض أهم ما يمكن معرفته حول هذا الموضوع المهم ونترك التفصيل للقارئ العزيز يرجع فيها إلى الكتب الروائية التي تكلمت عن تفاصيل هذه المسألة:

١: ان الإمام وارث لجميع علوم الأنبياء والأوصياء الذين سبقوه

فعن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام انه قال: (إن الله عز وجل جمع لمحمد صلى الله عليه وآله سنن النبيين من آدم وهلم جرا إلى محمد صلى الله عليه وآله قيل له: وما تلك السنن؟ قال: علم النبيين بأسره ، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله صير ذلك كله عند أمير المؤمنين عليه السلام).

وعن أبي عبد الله عليه السلام انه قال: (إن داود ورث علم الأنبياء ، وإن سليمان ورث داود ، وإن محمدا صلى الله عليه وآله ورث سليمان ، وإنا ورثنا محمدا صلى الله عليه وآله وإن عندنا صحف إبراهيم وألواح موسى) راجع (الكافي للشيخ الكليني ج ١ ص٢٢٥).

٢: إن عند الإمام جميع الكتب والصحف للأنبياء الذين سبقوا نبينا صلى الله عليه وآله

عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (وعندنا الصحف التي قال الله عز وجل: «صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ» قلت: جعلت فداك هي الألواح؟ قال: نعم) راجع (الكافي للشيخ الكليني ج١ ص٢٢٥).

وقد أخرج الشيخ الكليني في كتابه الكافي (ج ١ ص٢٢٧) بابا خاصا أسماه: (باب ان الأئمة عليهم السلام عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله عز وجل وانهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها).

٣: ان عنده جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة

عن أبي بصير ، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : (إن لله عز وجل علمين : علم لا يعلمه إلا هو وعلم علمه ملائكته ورسله ، فما علمه ملائكته ورسله عليهم السلام فنحن نعلمه) راجع (الكافي للشيخ الكليني ج ١ ص ٢٥٥).

وقد أخرج الشيخ الكليني في كتابه الكافي (ج ١ ص٢٥٦) بابا خاصا أسماه: (باب أن الأئمة عليهم السلام يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل عليهم السلام).

٤: انه يعلم بما كان وما يكون حتى من يمرض من شيعته ويعلم من في الجنة ومن في النار وغير ذلك

أخرج الشيخ الكليني في (الكافي ج ١ ص٢٦٠) بابا خاصا أسماه ب(باب أن الأئمة عليهم السلام يعلمون علم ما كان وما يكون وانه لا يخفى عليهم الشيء صلوات الله عليهم) فليرجع إليه من يريد التفصيل.

وأخرج محمد بن الحسن الصفار في كتابه (بصائر الدرجات ص١٤٧) بابا آخر أسماه (باب في علم الأئمة بما في السماوات والأرض والجنة و النار وما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة) واورد فيه عدة أحاديث منها ما عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: (سئل علي عليه السلام عن علم النبي صلى الله عليه وآله فقال علم النبي علم جميع النبيين وعلم ما كان وعلم ما هو كائن إلى قيام الساعة ثم قال والذي نفسي بيده إني لأعلم علم النبي صلى الله عليه وآله وعلم ما كان وما هو كائن فيما بيني وبين قيام الساعة).

وأخرج الصفار أيضا بابا آخر اسماه (باب في الأئمة انهم يعرفون من يمرض من شيعتهم و يحزنون ويدعون ويؤمنون على دعاء شيعتهم وهم غيب عنهم) وأورد فيه عدة أحاديث فليرجع إليها من يريد التفصيل أكثر.

٥: إن الإمام يعلم جميع ذلك من كتاب الله سبحانه

وقد صرحت أحاديث أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بأن لا وجه للعجب والاستغراب في هذه السعة العظيمة لعلم الإمام لان جميع ما تقدم من علم مودع في كتاب الله سبحانه الذي وصف نفسه بقوله سبحانه في سورة النحل (الآية رقم ٨٩): «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ»، وقال تعالى في سورة الأنعام (الآية رقم ٣٨): «وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ».

وأخرج محمد بن الحسن الصفار في كتابه بصائر الدرجات (ص ١٤٨) قال: (حدثنا أحمد بن محمد عن محمد بن سنان عن يونس عن الحرث بن المغيرة وعدة من أصحابنا فيهم عبد الأعلى وعبيدة بن عبد الله بشر الخثعمي وعبد الله بن بشير سمعوا أبا عبد الله عليه السلام يقول إني لأعلم ما في السماوات واعلم ما في الأرضين واعلم ما في الجنة واعلم ما في النار واعلم ما كان وما يكون ثم مكث هنيئة فرأى أن ذلك كبر على من سمعه فقال علمت من كتاب الله يقول فيه تبيان كل شيء).

٦: ان الإمام إذا أراد أن يعلم بأي شيء يعلمه الله سبحانه

أخرج الشيخ الكليني في كتابه الكافي (ج١ ص٢٥٨) بابا اسماه: (باب أن الأئمة عليهم السلام إذا شاؤوا أن يعلموا علموا) وقد اخرج فيه عدة أحاديث نختار منها ما عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (إن الإمام إذا شاء أن يعلم علم).

أما مصدر تعليمه فهو الله سبحانه ففي كتاب بصائر الدرجات (ص ٣٣٥) عن عمار الساباطي قال: (سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الإمام أيعلم الغيب قال لا ولكن إذا أراد أن يعلم الشيء علمه الله ذلك).

أما كيف يعلمه الله سبحانه فقد وردت روايات أخرى توضح ذلك، وتبين أن علمهم الذي يعلمهم الله سبحانه به على قسمين، الأول علم يقذف في قلوبهم كما قذف الله سبحانه في قلب أم موسى، قال تعالى (سورة القصص ٧): «وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ».

وعن الحرث بن المغيرة النضري قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام ما علم عالمكم جملة يقذف في قلبه وينكت في أذنه قال فقال وحي كوحي أم موسى) (بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ص ٣٣٧).

أما القسم الثاني فقد سمي في الروايات بالنقر في الآذان، أي يكلمه الملك في أذنه كلاما خفيا لا يسمعه إلا الإمام، والأحاديث في ذلك كثيرة منها ما عن علي السائي قال: (سألت الصادق عليه السلام عن مبلغ علمهم فقال مبلغ علمنا ثلاثة وجوه ماض وغابر و حادث فأما الماضي فمفسر وأما الغابر فمزبور وأما الحادث فقذف في القلوب ونقر في الأسماع وهو أفضل علمنا ولا نبي بعد نبينا) (بصائر الدرجات لمحمد ابن الحسن الصفار ص ٣٣٨).

وللموضوع تفاصيل أخرى كثيرة نترك للقارئ مراجعتها في الكتب التي أشرنا إليها وغيرها، والحمد لله أولا وآخرا.

محمد بن علي بن رزين المشهور بدعبل الخزاعي

اسمه

هو محمد بن علي بن رزين، من مشاهير شعراء العصر العباسي. الذي اشتهر بتشيعه لآل علي بن أبي طالب وهجائه اللاذع للخلفاء العباسيين[1].

أسرته

عاش دعبل الخزاعي في بيت علم وفضل وأدب، برز فيه محدثون وشعراء (وفيهم السؤدد والشرف وكل الفضل والفضيلة)[2]، وقد كلل الله عزّ وجلّ هذا البيت بالشرف العظيم حين كرمه بخمسة شهداء.. على رأسهم بطل الإسلام العظيم عبد الله بن ورقاء الذي كان هو وأخواه (عبد الرحمن ومحمد) رسل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى اليمن.. (وكان الثلاثة وأخوهم الرابع (عثمان) من فرسان أمير المؤمنين الشهداء في صفين)[3] وأخوهم الخامس نافع بن بديل استشهد على عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

ولادته

ولد الشاعر دعبل الخزاعي في الكوفة سنة ١٤٨ هـ. ولقبته (الداية) بدعبلٍ، لدعابة كانت فيه. فهي أرادت (ذعبلا) فقلبت الذال دالاً.

نشأته

شبّ في بيت اختص بالشعر[4]، فجده (رزين) شاعر كما ذكره ابن قتيبة في (الشعر والشعراء) وأبوه (علي) كان من شعراء عصره[5]، وعمه عبد الله بن رزين أحد الشعراء، وابن عمه (محمد بن عبد الله) شاعر له ديوان ويلقب بـ(أبي الشيص) وابن هذا عبد الله بن محمد أبي الشيص شاعر له ديوان أيضاً وأخواه (علي أبو الحسن ورزين) من الشعراء المشهورين.

وعن هؤلاء جميعاً أخذ دعبل ومنهم استقى وتعلم؛ فتلقف أبجدية الشعر وأصوله، وفهم معانيه وغاص في بحوره، وحفظ الكثير الكثير من الأبيات والقصائد.. إلا أنه لم يشرع في النظم، وعاهد نفسه ألا يفعل ذلك إلا بعد أن ينهل المزيد من منابع الشعر الأصيلة، ويتقن صناعته اتقانا جيداً..

وهكذا خرج من الكوفة وسافر إلى الحجاز مع أخيه رزين، وإلى الري وخراسان مع أخيه علي. قال العلامة الأميني: (كان دعبل يخرج فيغيب سنيناً يدور خلالها الدنيا كلها ويرجع، وقد أفاد وأثرى، وكانت الشراة والصعاليك يلقونه ولا يؤذونه ويواكلونه ويشاربونه ويبرّونه، وكان إذا لقيهم وضع طعامه وشرابه ودعاهم إليه فكانوا يواصلونه ويصلونه... وهكذا رافق مسلم بن الوليد (وكان شاعراً متصرفاً في فنون القول حسن الأسلوب أستاذ الفن ويقال أنه أول من قال الشعر المعروف بالبديع ووسمه وتبعه فيه أبو تمام وغيره توفي بجرجان سنة ٢٠٨ هـ)[6].

رافقه دعبل ليأخذ الأدب عنه ويستقي من فنونه، وعبر دعبل عن تلك الفترة بقوله: ما زلت أقول الشعر وأعرضه على مسلم فيقول لي: أكتم هذا.. حتى قلت:

أين الشباب وأيّة سلكا
لا أين يطلب ضلّ بل هلكا
لا تعجبي يا سلم من رجل
ضحك المشيب برأسه فبكى

فلما أنشدته هذه القصيدة قال: اذهب الآن فاظهر شعرك كيف شئت ولمن شئت!

سرّ دعبل لهذه النتيجة وانطلق مارده الشعري من عقاله وراح ينشد أحلى القصائد وأعذبها.. ولأنه تربى على محبة أهل البيت عليهم السلام والولاء لهم، فقد كرس شعره من أجل الدفاع عن البيت النبوي الطاهر والتجاهر بأحقيتهم دون مبالاة بالموت الذي كان يترصده.

وله من قصيدة طويلة في رثاء الإمام الحسين قوله:

يا آل أحمد ما لقيتم بعده
من عصبة هم في القياس مجوس
كم عبرة فاضت لكم وتقطعت
يوم الطفوف على الحسين نفوس
صبراً موالينا فسوف نديلكم يوماً
على آل اللعين عبوس
ما زلت متّبعاً لكم ولأمركم
وعليه نفسي ما حييت أسوس

أسفاره وجرأته

سافر دعبل الخزاعي إلى بغداد وأقام فيها زمن المأمون فاختلط بأدبائها وشعرائها فاكتسب منهم ما أغنى تجربته، فبلغ الذروة في نشاطه الشعري وإتقان صناعته؛ فنظم في بغداد أقوى وأشهر قصائده (فتوغل لا يقرّ به قرار ولا يهاب في الهجاء والسباب المقذع فيمن حسبهم أعداء العترة الطاهرة وغاصبي مناصبهم، فكان يتقرب بشعره إلى الله وهو من المقربات إليه سبحانه زلفى، وأن الولاية لا تكون خالصة إلا بالبراءة ممن يضادها ويعاندها كما تبرأ الله ورسوله من المشركين)[7].

وبسبب الجرأة والهجاء كثر أعداء الشاعر ومناوئوه، فتربصوا للوقيعة به وقتله، لكنه لم يبال ورد عليهم بقصائد أشد وأقوى. واشتهر بقوله: (أنا أحمل خشبتي على كتفي منذ خمسين سنة لست أجد أحداً يصلبني عليها، وبسبب بأسه الشديد وقوة حجته تجنب الكثير لسانه حتى قيل للوزير محمدٍ بن عبد الملك الزيات: لم لا تجيب دعبلاً عن قصيدته التي هجاك فيها؟! قال: إن دعبلاً جعل خشبته على عنقه يدور بها يطلب من يصلبه بها دون أن يبالي)[8].

وكان الوزير الزيات على حق، فدعبل لم يعرف الخوف ولم يتردد في هجاء الخليفة المأمون قائلاً:

أخذ المشيب من الشباب الأغيد
والنائبات من الأنام بمرصد
أيسومني المأمون خطّة جاهل
أو ما رأى بالأمس رأس محمد
إني من القوم الذين سيوفهم
قتلت أخاك وشرفتك بمقعد
شادوا بذكرك بعد طول خمولة
واستنقذوك من الحضيض الأوهد

نبوغه

لم يكتف دعبل الخزاعي بنبوغه في الشعر الذي صار يُستشهد به في إثبات معاني الألفاظ ومواد اللغة ويهتف به في

مجتمعات الشيعة في آناء الليل وأطراف النهار، ويردده الأعداء قبل الأصدقاء؛ فقد نبغ في الأدب والتاريخ وألف فيهما، كما اشتهر بروايته للحديث وبسيرته مع الخلفاء والوزراء.. وانتشر خبر كتابه (الواحدة) في مناقب العرب ومثالبها انتشاراً عجيباً وانهمك النساخ لسنوات طويلة في نسخه وبيعه للراغبين في اقتنائه وهم كثر.. ونجح كتابه القيّم (طبقات الشعراء) نجاحا كبيرا عُدّ المرجع الكبير ومن الأصول المعوّل عليها في الأدب والتراجم ونقل عنه جميع المؤلفين الذين جاءوا بعده.. لما تضمنه من معلومات نادرة وموثقة عن شعراء البصرة ـ وشعراء الحجاز ـ وشعراء بغداد وأخبارهم...وديوان دعبل الخزاعي خير شاهد على نبوغه ومقدرته الفذة على سبك القصائد المتينة وحسن اختياره للمواضيع.

عرف عن دعبل الخزاعي شدة ولائه لآل البيت والجهر بحبهم لذا أنشد بحقهم أجمل القصائد العربية وأحسنها على الإطلاق ولم تزل الألسن ترددها على مر السنين، منها قوله:

نطق الكتاب بفضل آل محمد … وولاية لعليّه لم تجحد
بولاية المختار من خير الذي … بعد النبي الصادق المتودد
إذ جاءه المسكين حال صلاته … فامتد طوعاً بالذراع وباليد
فتناول المسكين منه خاتماً … هبة الكريم الأجود بن الأجود
فاختصّه الرحمن في تنزيله … من حاز مثل فخاره فليعدد
إن الإله وليّكم ورسوله … والمؤمنين فمن يشأ فليجحد
يكن الإله خصيمه فيها غدا … والله ليس بمخلف في الموعد

ومنها قوله:

سقياً لبيعة أحمد ووصيه … أعني الإمام وليّنا المحسودا
أعني الذي نصر النبي محمداً … قبل البريّة ناشئاً ووليدا
أعني الذي كشف الكروب ولم يكن … في الحرب عند لقائه رعديدا
أعني الموحد قبل كل موحد … لا عابداً وثناً ولا جلمودا

ومن اشهرها قصيدته التي عدّت إحدى قمم البلاغة العربية، وكما قال ابو الفرج الصفهاني فهي من (أحسن الشعر وفاخر المدايح المقولة في أهل البيت)(٩)، او كما قال ياقوت الحموي: (قصيدة دعبل التائية في أهل البيت من أحسن الشعر وأسنى المدايح)(١٠). وامتازت بقوة التعبير وروعة الأداء، والتي بلغت أبياتها (١٢١) بيتاً، وفيما يلي بعض أبياتها:

مدارس آيات خلت من تلاوة … ومهبط وحي مقفر العرصات
لآل رسول الله بالخيف من منى … وبالبيت والتعريف والجمرات
ديار علي والحسين وجعفر … وحمزة والسجاد ذي الثفنات
ديار عفاها جور كل منابذ … ولم تعف بالأيام والسنوات
أرى فيئهم في غيرهم متقسما … وأيديهم من فيئهم صفرات
إذا وتروا مدّوا إلى أهل وترهم … أكفّاً عن الأوتار منقبضات
وآل رسول الله نحف جسومهم … وآل زياد أغلظ القصرات
سأبكيهم ما ذرّ في الأفق شارق … ونادى منادي الخير بالصلوات
وما طلعت شمس وحان غروبها … وبالليل أبكيهم وبالغدوات
ديار رسول الله أصبحن بلقعاً … وآل زياد تسكن الحجرات
وآل زياد في القصور مصونة … وآل رسول الله في الفلوات
فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غد … تقطع نفسي إثرهم حسراتي
خروج إمام لا محالة خارج … يقوم على اسم الله بالبركات
يميّز فينا كلّ حقّ وباطل … ويجزي عن النعماء والنقمات
فيا نفسي طيبي ثم يا نفسي … فاصبري فغير بعيد كل ما هو آت
وقبر بطوس يا لها من مصيبة … توقد في الأحشاء بالحرقات
إلى الحشر حتى يبعث الله قائماً … يفرّج عنّا الهمّ والكربات

مع المأمون

قال ابن عساكر وأبو فرج الأصفهاني: (ثم إن المأمون لما ثبّت قدمه في الخلافة وضرب الدنانير باسمه أقبل يجمع الآثار في فضائل آل الرسول فتناهى إليه فيما تناهى من فضائلهم قصيدة دعبل (مدارس آيات) فما زالت تردد في صدر المأمون حتى قدم عليه دعبل فقال له: أنشدني قصيدتك التائية ولا بأس عليك ولك الأمان من كل شيء فيها فإني أعرفها وقد رويتها إلا أني أحب أن أسمعها من فيك.. فأنشده إياها فبكى المأمون حتى اخضلّت لحيته وجرت دموعه على نحره.. وكان دعبل أول داخل عليه وآخر خارج من عنده)(١١).

وروى الشيخ الصدوق في أماليه بإسناده عن دعبل الخزاعي أنه قال: جاءني خبر موت الرضا عليه السلام وأنا مقيم بـ(قم) فقلت القصيدة الرائية(١٢) التي طلب المأمون الاستماع إليها، ومنها:

أصبحت أخبر عن أهلي وعن ولدي … كحالم قصّ رؤيا بعد مدّكر
وفي مواليك للحرّين مشغلة … من أن تبيت لمشغول على أثر
كم من ذراع لهم بالطفّ بائنة … وعارض بصعيد الترب منعفر
أمسى الحسين ومسراهم لمقتله … وهم يقولون: هذا سيد البشر
يا أمة السوء ما جازيت أحمد في … حسن البلاء على التنزيل والسور
خلفتموه على الأبناء حين مضى … خلافة الذئب في إنفاد ذي بقر
لم يبق حيّ من الأحياء نعلمه … من ذي يمان ولا بكر ولا مضر
إلا وهم شركاء في دمائهم … كما تشارك أيسار على جزر
قتلاً وأسراً وتخويفاً ومنهبة … فعل الغزاة بأرض الروم والخزر(١٣).

قال: فضرب المأمون عمامته الأرض وقال: صدقت والله يا دعبل.

وفاته

توفي دعبل الخزاعي بعد أن أخذه مالك ابن طوق وعذبه اشد العذاب اثر سعاية الحاقدين وأعداء دعبل لدى هذا السلطان وبعد ان لفقوا له قصيدة على لسانه يشتمه فيها وينتقص فيها منه، فقبض عليه وأمر بضربه بالعصا في قصة مريعة، ثم أمر به فاخلي سبيله، فهرب دعبل بعد ذلك إلى الأهواز فبعث مالك بن طوق رجلا حصيفا مقداما أعطاه سما وأمره أن يغتاله كيف شاء، وأعطاه على ذلك عشرة آلاف درهم، فلم يزل الرجل يطلبه حتى وجده في قرية من نواحي السوس، فاغتاله في وقت من الأوقات بعد صلاة العتمة، إذ ضرب ظهر قدمه بعكاز مسموم فمات من الغد، ودفن بتلك القرية.

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق: ٢٣٩.
(٢) الغدير للشيخ الأميني ٢/ ٣٦٣.
(٣) كتاب صفين لنصر بن مزاحم ١٢٦.
(٤) العمدة: ابن رشيق ٢/ ٢٩٠.
(٥) معجم الشعراء: المرزباني ١/ ٢٨٣.
(٦) الغدير: ٦/ ٣٧٠.
(٧) الغدير: ٢/ ٣٦٩.
(٨) طبقات الشعراء: ابن المعتز / ١٢٥.
(٩) الأغاني: ١٨/ ٢٩
(١٠) الأغاني: ١٨/ ٢٩
(١١) الأمالي: ٣٩٠.
(١٢) تاريخ ابن عساكر: ٢٣٤/٥ - الأغاني: ٥٨/١٨.
(١٣) الأمالي: ٦١.

تسكين الزلزلة

كرامة لعلي بن أبي طالب عليه السلام

قال شرف الدين النجفي في تأويل الآيات الباهرة، عن أبي علي الحسن بن محمد بن جمهور العمي، قال: حدثني الحسن بن عبد الرحيم التمار، قال: انصرفت من مجلس بعض الفقهاء فمررت على سليمان الشاذكوني، فقال لي: من أين جئت؟

فقلت: جئت من مجلس فلان (يعني واضع كتاب الواحدة).

فقال لي: ماذا قوله فيه؟ فقلت شيء من فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: والله لأحدثك بفضيلة حدثني بها قرشي، عن قرشي إلى أن بلغ ستة نفر منهم.

ثم قال: رجفت قبور البقيع على عهد عمر بن الخطاب فضج أهل المدينة من ذلك، فخرج عمر وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يدعون لتسكن الرجفة، فما زالت تزيد إلى أن تعدّى ذلك إلى حيطان المدينة، وعزم أهلها على الخروج عنها، فعند ذلك قال عمر: عليّ بأبي الحسن علي بن أبي طالب، فحضر، فقال يا أبا الحسن ألا ترى إلى قبور البقيع ورجفتها حتى تعدّى ذلك إلى حيطان المدينة، وقد همّ أهلها بالرحلة عنها.

فقال علي عليه السلام عليّ بمائة رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم البدريّين، فاختار من المائة عشرة، فجعلهم خلفه، وجعل التسعين من ورائهم، ولم يبق بالمدينة سوى هؤلاء إلاّ حضر، حتى لم يبق بالمدينة ثيّب ولا عاتق إلاّ خرجت.

ثمّ دعا بأبي ذر ومقداد وسلمان وعمار وقال لهم: كونوا بين يديّ حتى أتوسّط البقيع والناس محدقون به، فضرب الأرض برجله، ثم قال:

مالك (مالك مالك) - ثلاثا - فسكنت (الأرض)، فقال: صدق الله وصدق رسوله صلى الله عليه وآله وسلم لقد أنبأني بهذا الخبر وهذا اليوم وهذه الساعة وباجتماع الناس له، إنّ الله عز وجل يقول في كتابه:

«إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ① وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا»(١)

أما لو كانت هي هي، لقلت: ما لها وأخرجت الأرض لي أثقالها، ثمّ انصرف وانصرف الناس معه وقد سكنت الرجفة(٢).

---

(١) سورة الزلزلة، الآيتان: ١ و ٢.

(٢) مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني: ج٢، ص١٠٠.

شرح الصحيفة السجادية

الحلقة الأولى

الدعاء الأول

وكان من دعائه عليه السلام إذا ابتدأ بالدعاء بدأ بالتحميد لله عزّ وجل والثناء عليه.

(الحمد لله الأول بلا أول كان قبله.....)

(الحمد لله)

الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة وغيرها، والمراد من (الثناء) هو الذكر بالخير.

وقيل: (الثناء خاصٌ بالمدح)، وقوله عليه السلام: (لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك).

وقول الشاعر:

إذا أثنى عليك المرء يوماً
كفاه من تعرّضه الثناء

فعلى هذا (أن الثناء وصف بمدح)، والمدح هو الثناء على الجميل مطلقاً، كما قلت: (حمدت زيداً على علمه)، ولا تقول: (حمدت زيدا على حسنه)، وفي كلها تقول: (مدحته).

وقيل: (هما - المدح والثناء - مترادفان، ويؤيده ما في الفائق من: (أن الحمد هو المدح والوصف بالجميل)، وكذا قول صاحب الكشاف: (نقيض الحمد الذم).

وقيل: (الحمد هو الثناء على الجميل مطلقا، حيث وجد في القرآن لفظ: «مَقَامًا مَّحْمُودًا»[1].

ويؤيّده القول بأن الصبر يحمد في المواطن كلها).

وقيل: (المدح والحمد والشكر ألفاظ متقاربة المعنى، كما أن مقابلاتها - وهي الذمّ والهجاء والكفران - كذلك).

وقيل: الأخيران مترادفان، فيقال: الحمد لله شكرا، فنصبه على المصدرية يقتضي وضع أحدهما موضع الثاني، فإذا كان الحمد يقع موقع الشكر فالشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم).

والحق أن الحمد والمدح في اللفظ والمعنى متقاربان، وحقيقتهما هو الثناء بالجميل على جهة التعظيم والتبجيل على الإحسان وغيره من الفضائل الذاتيّة والمحاسن الصفاتيّة؛ ونقيضهما الذمّ، ولكن قد يفرّق بينهما بأنّ الحمد على الأفعال الحسنة الاختيارية بخلاف المدح، فإنّه يعمّها وغيرها.

وبأن الحمد لا يكون إلا بعد الإحسان، والمدح يكون بعده وقبله)، فالحمد إحدى شعب الشكر باعتبار المورد وإن كان الشكر إحدى شعبه باعتبار المتعلق.

وإنما جعل رأس الشكر والعمدة فيه - كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (الحمد رأس الشكر، ما شكر الله عبد لم يحمده).

(الحمد لله) أي: جنس الحمد وكل حمد وجميع المحامد لله سبحانه بالحقيقة، إذ ما من خير بالذات أو خير بالعرض في نظام الوجود طولاً أو عرضا إلا وهو مستند إليه سبحانه بوسط أو بلا وسط، فقد جعل اختصاص الجنس دليلاً على اختصاص جميع الأفراد، سلوكاً لطريقة البرهان، وذلك باب من فنّ البلاغة.

إذ معناه: ذات كلّ متقرّر ووجود كل موجود لله، كما قال جل سلطانه: «لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ»[2] إذ حقيقة الحمد هو الوصف بالجميل، وكل تقرر ووجود ينطق بلسان طباع الإمكان أن مفيضه ومبدعه هو (الحيّ) القيوم الحقّ المتقرّر بنفسه الموجود بذاته.

فتكوّن هويّة كل ذي هوية حمداً له سبحانه:

«وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ»[3].

أو المراد به عالم الحمد، أعني: عالم الأمر، ويقال له: عالم التسبيح والتحميد، وهو عالم المجرّدات، إذ كل موجود بلسان ماله من الكمالات المطلقة يصف جاعله الحقّ بذلك الكمال، ويشهد أنّه هناك على أقصى ما يتصوّر من التمام والبهاء وعالم الخلق لا خلاق له من الكمالات المطلقة إلاّ الوجود، فيكون عالم الأمر كلّه هو حقيقة الحمد كله، وبسط القول هناك على ذمّة سدرة المنتهى[4].

(والحمد هو الثناء والشكر ومقابلة الانعام بالتعظيم بالقول أو الفعل أو الاعتقاد، والحمد مبتدأ مرفوع جاء بلسان الحكاية ولأن الحمد لله أمر دائم مستمر واجب لذاته.

و(الله): اسم الجلالة ولفظ دال على المعبود بالحق الذي جعل العقول تائهة في قدسية ذاته وعظيم صفاته، وهو أكثر الكلمات والأسماء.

وري أن آدم حمد الله في الساعة التي جلس فيها مستويا بعد أن نفخ الله فيه من روحه فعطس، فقال الحمد لله رب العالمين فقال الله: يرحمك الله يا آدم)[5][6].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

(٤) شرح الصحيفة للسيد محمد باقر الداماد: ص٧٦.

(٥) بحوث في الصحيفة السجادية، صالح الطائي: ص٦.

(٦) الصحيفة السجادية، شرح كلمات ودروس علي محمد علي دخيل: ص٤٧.

فقه الأسرة

الحلقة الأولى

قال الله تبارك وتعالى:

«ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ » [١]

في هذه الآية مقارنة بين ولاية الله الواحد على المؤمنين والتي يخرجون بها إلى النور الواحد، وبين ولاية الطاغوت المتعدّدة والتي تُدخلهم في الظلمات المتعدّدة.

ولاية الله المنعم المفضّل على الإنسان بنعم لا تحصى:

« وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ » [٢]

فخلقه في أحسن تقويم، فرزقه الصحة والعافية والسمع والبصر والحواس، وزوّده بالعقل ليميّز النور من الظلمات وأرسل إليه الرسل لتأديبه وليوصله إلى النور المطلق.

وولاية الطاغوت الذي يريد لكلمة الله أن لا تكون هي العليا، ـ وهو كلّ سلطة أو هيئة أو فرد يحكم بخلاف حكم الله ـ ويدعو إلى الابتعاد عن النور المطلق والمنعم المفضل.

فالله ـ بخلقه للإنسان في الحياة الدنيا ـ لا يريد ظلماً للعباد ولا نقصاً في النعم والخلقة والرزق، ولا يريد أن يوقع الإنسان في التهلكة والمشاكل، ولا دبّ النزاع بين الأخوة والأصدقاء وأهل البلد والجيران.

ولا حتّى أن يقع في البلاءات المتعدّدة المتشعّبة.

الله لا يريد للعباد إلاّ الخير والنور: نور الإيمان والمعرفة والأخلاق الفاضلة، والغنى والعيش الرغيد، نور حبّ الناس وطاعة الوالدين وحُسن الجوار، وإلقاء السلام والتحيّة بين المؤمنين ونبذ الحقد والعصبيّة وسوء الظنّ بين الأخ وأخيه والجار وجاره والصديق وصديقه.

نور يؤدي بالإنسان إلى عيشة راضية، بمال حلال وتجارة بعيدة عن الربا والسحت.

يريد سبحانه أن يخرج الإنسان من الظلمات: ظلمة الفساد الاجتماعي والشخصي والعائلي، ظلمات الطغيان والحرمان والسرقة وأكل أموال الناس بالباطل، ظلمة قطع الرحم وأذيّة الجار وإهانة الوالدين، وضرب الأولاد وظلم الزوجة... .

أمّا الطاغوت فيريد أن يقتل الأخ أخاه ويهين أباه ويقطع صلة رحمه، يسعى الطاغوت بكلّ ما أوتي من أساليب لإخراج الإنسان من النور إلى المعصية والطغيان.

ومن أجل هذا الهدف الأسمى ـ الخروج من الظلمات إلى النور ـ جعل سبحانه العبادة والفضائل والآداب الوسيلة التي بها يخرجون من الظلمات ويتقرّبون بها إليه تعالى، ولم يحصر العبادة والفضائل والأخلاق بحدّ محدود ولا بعدد معيّن بل اعتبر سبحانه أنّ الطرق الموصلة إليه (عزّت آلاؤه) بعدد أنفاس الخلائق كما في الحديث الشريف وهذه نعمة منه سبحانه ورحمة لعباده.

ومن رحمته الواسعة أنّه لم يكلّفنا ما لا نطيق، فجعل التكاليف الإلهية ممكنة مستساغة لكلّ فرد، بل غالب ما كلّفنا به كان متناسباً مع خلقتنا ومجتمعنا وفطرتنا.

فمثلا نظر سبحانه وتعالى نظرة رحيمية فوجد من الناس من يحبّ المال والجاه وطول العمر، فلم يحرّم ذلك عليهم ولم يحرمه من ذلك الحبّ ولم يكلّفه بخلافه، بل أمر سبحانه بطاعة الوالدين وصلة الرحم التي من آثارهما زيادة المال والجاه والعمر كما يأتي مفصّلا.

ثمّ نظر سبحانه وتعالى نظرة ثانية فوجد من الناس من يحب سعة الديار وعمرانها فأمر بحسن الجوار، وحسن الجوار يعمر الديار كما في الحديث الآتي.

وهكذا في كثير من التكاليف والآداب الآتية، فإنّها ممكنة للعباد تناسب مجتمعاتهم ويجنون من ورائها ما يسعدهم في الحياة الدنيا ويقرّبهم من النور المطلق في الآخرة.

الآداب والتكاليف بين الآباء والأبناء

إن من حقوق الآباء على الأبناء هو البرّ بهما والإحسان إليهما.

وبرّ الوالدين هو: الإحسان إليهما وهو أفضل القربات إلى الله عزّ وجل وضده عقوق الوالدين وهو الإساءة إليهما.

قال تعالى:

«وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا» [٣]

جاء في تفسير العياشي، عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى: (إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا) قال عليه السلام: (هو أدنى الأذى حرمه الله فما فوقه).[٤]

وقال عليه السلام أيضا: (أدنى العقوق أف، ولو علم الله أن شيئا أهون منه لنهى عنه).

وعن أبي ولاد الحناط قال: سألت ابا عبد الله عليه السلام عن قول الله (وبالوالدين

ة وآدابها

إحسانا) فقال عليه السلام:

(الإحسان أن تحسن صحبتهما، ولا تكلفهما أن يسألاك شيئا مما يحتاجان إليه، وإن كانا مستغنيين، أليس يقول الله:

«لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ »)(٥)

ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: وأما قوله:

« إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ »

قال: إن أضجراك فلا تقل لهما أف، ولا تنهرهما إن ضرباك قال: (وقل لهما قولا كريما).

قال: يقول لهما: غفر الله لكما، فذلك منك قول كريم، وقال: (وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ).

قال: لا تملأ عينيك من النظر إليهما إلا برحمة ورقة ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما ولا يديك فوق أيديهما ولا تتقدم قدامهما.

فعلى المسلم أن يكون شديد الاهتمام في تكريمهما وتعظيمهما واحترامهما ولا يقصر في خدمتهما ويحسن صحبتهما ولا يتركهما حتى يسألاه شيئا مما يحتاجان إليه بل يبادر إلى الإعطاء قبل أن يسألاه ولا يقول لهما حتى كلمة أف ولا يعبس في وجوههما ولا يرفع صوته فوق صوتهما ولا يتقدم أمامهما في الطريق وكلما بالغ في التذلل أمامهما زاد الله في ثوابه.

وقال عز من قال:

« وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ١٤ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ »(٦)

فالله سبحانه وتعالى وصى الإنسان بوالديه وأمره بالإحسان إليهما والرفق بهما، فجاءت في الآية حمل الأم للطفل وصعوبة الحمل ومشقته ورضاعة الطفل وفطامه.

فقال الضحاك: معناه ضعفا على ضعف أي ضعف نطفة الوالد إلى ضعف نطفة الأم، وقيل: هو ما يلحقها بحملها إياه مرة بعد مرة من الضعف، وقيل: بل المعنى شدة الجهد، قال زهير:

فإن يقولوا بجعل واهن خلق

لو كان قومك في أسبابه هلكوا

وقال ابن عباس: (وهن على وهن) أي شدة على شدة.

فالله سبحانه وتعالى جعل الشكر له قبل الشكر لوالديه لأنه لولا رحمته عزّ وجل لما كان الطفل في بطن أمه ولما حملت به وكيف الطفل يتغذى وهو في بطن أمه وكيف يكبر وكيف تشد عظامه وكيف يصبح اللحم والجلد والعروق وكيف يجري الدم في بدنه وكيف يولد ويخرج من بطن أمه إلى الدنيا، فهذه الأمور كلها بيد الله سبحانه وتعالى ومن رحمته ولطفه على البشر.

فعلينا أن نشكر الله ونحمده على هذه النعمة ومن ثم يريد سبحانه عز وجل شكر الأبوين على تحمل هذه المشقة والتعب، اللذين لا ينامان الليل إلى الصبح لكي ينمو هذا الطفل.

فيقول الله سبحانه وتعالى: يا أيها الإنسان إذا أراد الوالدان أن تشرك بي معبودا آخر فلا تطعهما ولا تصغ إليهما، لكن عليك أن تحسن إليهما وترافقهما في الدنيا، وأن تكون محسنا بهما.

فالآية الكريمة تريد من الإنسان أن يكون له معبود واحد وهو الله تبارك وتعالى.

صحيح أن القرآن يؤكد على إطاعة الوالدين والإحسان إليهما والبر بهما، لكن هذه الأمور تجري مجراها الطبيعي فيما إذا لم يكن هناك شرك بالله تعالى أو إجبار من الوالدين على الولد لعبادة معبود غير الله سبحانه وتعالى.

فالله سبحانه وتعالى يأمر في تكملة الآية الرجوع إلى طاعة النبي والمؤمنين والانقلاب إليهم لأنه هو الذي يعلم بكل شيء ومرجع البشر إلى الله سبحانه وتعالى، وهو الذي يعمل ما في دار الدنيا من أعمال ويجازي عليها بحسبه.

وقال إمامنا زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق:

(فحقّ أمك أنٍ تعلم أنها حملتك حيث لا يحمل أحدٌ أحداً، وأطعمتك من ثمرة قلبها ما لا يطعم أحد أحدا، ووقتك بسمعها وبصرها ويدها ورجلها وشعرها وبشرها وجميع جوارحها - مستبشرة فرحة - محتملة لما فيه مكروهها وألمها وثقلها وغمها، حتى رفعتها عنك يد القدرة، وأخرجتك إلى الأرض، فرضيت أن تجوع وتطعمك، وتعطش وترويك، وتعرى وتكسوك، وتضحي وتظلك، وتنعمك ببؤسها، وتلذذك بالنوم بأرقها، وكان بطنها لك وعاء، وحجرها لك حواء، وثديها لك سقاء، ونفسها لك وقاء..

وأما حق أبيك، فإن تعلم أنه أصلك وأنك فرعه، وأنك لولاه لم تكن، فمهما رأيت في نفسك مما يعجبك فاعلم أن أباك أصل النعمة عليك فيه... .

وأما حق ولدك، فأن تعلم أنه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، وأنك مسؤول عما وليته من حسن الأدب والدلالة على ربه، والمعونة له على طاعته فيك وفي نفسه، فمثاب على ذلك ومعاقب.

وأما حق أخيك، فأن تعلم أنه يدك التي تبسطها، وظهرك الذي تلتجئ إليه، وعزك الذي تعتمد عليه، وقوتك التي تصول بها...).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.
(٢) سورة النحل، الآية: ١٨.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.
(٤) تفسير العياشي: ج٢، ص٢٨٥، ح٣٧.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.
(٦) سورة لقمان، الآيتان: ١٤ و ١٥.
(٧) فقه الأسرة وآدابها للسيد علي عاشور: ص٧. الأخلاق والآداب الإسلامية لعبد الله الهاشمي: ص١١٦.

علماؤنا وآية المودة

إن للسادة من بني هاشم ذرية رسول رب العالمين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم مكانة عالية لدى المسلمين، وقد نصّ القرآن الكريم على المودة لهم بلسان النبي محمد، مكافأة لجدهم على خدمته العظيمة التي قدمها للبشرية:

«قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ»(١)

فالسادة من سلالة أهل البيت عليهم السلام محترمون، ولابدّ لكل ذي وجدان أن يحترمهم ويتجنّب إهانتهم، فحتى الخاطئ منهم ينبغي مراعاته بالنصح والتذكير، فكيف بالطيّبين منهم.

ولقد التزم كبار علمائنا بهذه الأخلاق الحسنة، منهم العالم التقي آية الله الشيخ محمد علي سيبويه رحمه الله، حيث كان شديد المودة والاحترام لكلّ سيّد، وخاصّة المحتاجين من السادة، فكان رحمه الله حريصا على أن لا يكون في كربلاء ـ المدينة التي كان يعيش فيها ـ أيّ فقير من ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كان يتفقد أحوالهم دائما ويبعث إليهم ما عنده من حقوقهم، ولذلك قال عنه بعض معاصريه من العلماء: إنه العالم الوحيد الذي تجسدت فيه هذه السلوكية النبيلة من بين معاصريه.

ومثله كان الفقيه الورع آية الله (سردار الكابلي) - من علماء أفغانستان رحمه الله -، إذ يُنقل إنّه كان يقبّل أيادي أطفال السادة أيضا، وهذه الأخلاقية نادرة في سلوك العلماء غالبا.

وبهذه المناسبة ينقل فضيلة السيد ناصر الحسيني المرعشي في كتابه (اللآلئ الجلية) حول ترجمة المرحوم آية الله الشيخ محمد علي سيبويه: إني التقيت في إحدى الحوزات العلمية بأحد كبار الأساتذة، فكان شديد الاحترام لكل سيد يدخل المجلس، فرغم كبر سنه كان يقوم للكبير والصغير من السادة الواردين وينظر إليهم بعطف عميق.

تقرّبت إليه حتى صادقته، ثم سألته بعد مدة عن سبب مودته واحترامه الشديد للسادة؟

فرأيت قطرات الدموع أخذت تحجب عينيه المعبّرتين عن قصة ما، سكت العالم ولم ينطق إلا بعد اصراري حيث قال: كان في محلتّنا سيد من الباعة المتجوّلين، يجلس على الأرض ويبسط ما عنده من البصل للبيع.

وذات يوم أرسلت أحد أولادي ليشتري منه بصلاً، فعاد يحمل بصلا رديئا، فأخذت منه الكيس وجئت إلى السيّد وهو رجل كبير السنّ، وكان جالساً على الأرض قرب صندوق بصله فأنّبته بشدّة، فالتفت إليّ السيّد المسكين وهو يقول لي بهدوء من دون أن يقابلني بالمثل: لو لم يصفعوا والدتي الزهراء عليها السلام بالأمس، لما أهنتني أنت اليوم، ولم أجد بدّاً للكدّ بهذه الزحمة والأذى لجلب خبز لعيالي.

يقول هذا العالم: شعرت في تلك اللحظة بأن فقرات ظهري قد ارتعشت بهذا الكلام.

فمن ذلك اليوم، صرت كلما أرى سيداً أشعر وكأن دموعي تكاد أن تنهل من عيني من غير اختيار وإرادة.(٢)

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

(٢) قصص وخواطر للشيخ البحراني: ص١٣١.

الجراثيم

ما هي الجراثيم؟

الجراثيم (Bacteria) وباليونانية القديمة:((bakterion) عصيات) (تفرد احيانا على جرثوم أو جرثومة لكنها غالبا ما تستخدم بصيغة الجمع).

كائنات حية دقيقة وحيدة الخلية منها المكورات و العصيات وهي تتجمع مع بعضها وتأخذ أشكالاً متعددة مثل عقد أو سبّحة فتسمى مكورات عقدية أو على شكل عنقود فتسمى مكورات عنقودية. وقد نشرت اول رسوم للجراثيم عام ١٦٧٦.

أبعاد البكتريا تتراوح بين ٠,٥-٥ ميكرومتر مع أن التنوع الواسع للبكتريا يمكن أن يظهر تعدد أشكال كبيراً جدا، تدرس البكتريا أو الجراثيم في ما يدعى علم الجراثيم او الباكتريولوجيا، الذي يُعدّ فرعا من فروع علم الأحياء الدقيقة أو علم الميكروبيولوجيا.

المميزات:

١- كائنات بدائية النواة (لا تحوي غشاء نوويا ومكونات النواة مبعثرة في السيتوبلازم).

٢- جسمها يتكون فقط من خلية واحدة تقوم بجميع الوظائف الحيوية.

تنقسم إلى شعبتين:

١- شعبة البكتيريا.

٢- شعبة البكتيريا السيانية(البكتيريا الخضراء المزرقة).

البكتريا أيضا تعدّ مكونات طبيعية من مكونات جسمنا البشري فهناك من الخلايا البكتيرية على أجسامنا ما يفوق عدد خلايانا نفسها، فعليا مجمل الجلد عند الإنسان و الفم و الطريق الهضمي مليء بالجراثيم و هي بمقدار ما يشاع عن ضررها وتسببها بالأمراض، مفيدة أيضا لصحتنا حيث تساعد على الهضم ضمن الطريق الهضمي، لكنها أيضا تسبب أمراضا خطيرة مثل الكوليرا والسل.

تاريخيا تسببت البكتريا بأمراض منقرضة خطيرة مثل الطاعون و(leprosy) لكن اكتشاف المضادات الحيوية قلص كثيرا من خطورة الأمراض الجرثومية وخفف الوفيات بها، للبكتريا أهمية صناعية حيث يستفاد من عملياتها البيولوجية لإجراء ما هو صعب إجراؤه صناعيا، مثل معالجة المياه الوسخة ومؤخرا إنتاج المضادات الحيوية وغيرها من الكيميائيات، هناك خلاف ضمن في استخدام المصطلح العربي بين من يستخدم كلمة جراثيم بشكل واسع كمقابل لـ(Germ) وتبقى البكتريا مقابل لـ(Bacteria) لكن البعض الآخر يستخدم مصطلح جراثيم كمقابل لكلمة (Bacteria) أيضا.

في المصطلحات الغربية: مصطلح (بكتريا) استخدم تاريخيا لكل بدائيات النوى أحادية الخلية المجهرية، و مع أن هذا ما زال شائعا في الحياة اليومية إلا أن تطور علم الأحياء الدقيقة كشف عن تفصيلات تفرق بشكل واضح بين الفيروسات والبكتريا والفطريات و بشكل أكبر بين منحيين في التطور ضمن البكتريا نفسها أنتجا صنفين (انظر نظام ثلاثي النطاقاتthree-domain system): جراثيم حقيقية أو بكتيريا حقيقية (Eubacteria) وعواتق أي جراثيم قديمة (Archaebacteria).

حاليا يطلق عليهم اسم بكتريا التي نتحدث عنها هنا وأرخيا (Archaea).

شعبة الجراثيم :

ما هي البكتريا؟

هي كائنات حية وحيدة الخلية بدائية النواة تقوم بجميع الوظائف الحيوية. (Prokaryotes).

إلى أي مملكة تتبع البكتريا؟

تتبع مملكة البدائيات Monera

أين توجد البكتريا؟

توجد في الهواء و التربة وأمعاء الإنسان والفم وعلى سطح الجلد، كما توجد في معدة الحيوانات المجترة.

مساكن وبيئات البكتريا متنوعة جدا فهي قادرة على العيش في أي مسكن أو بيئة مناسبة على وجه الأرض و حتى التربة والمياه العميقة و قشرة الأرض حتى ضمن بيئات ذات نسب عالية بالفضلات النووية والكبريتية الحمضية، عادة يوجد نحو عشرة مليارات خلية جرثومية في الغرام الواحد من التربة، و مئات الآلاف من الخلايا في ملمتر مكعب من ماء البحر، ضمن دورات البيئة تلعب البكتريا دورا أساسيا و حيويا في تدوير المغذيات البيئية، فالعديد من الخطوات المهمة في دورة التغذية (utrient cycle) تتم بوساطة البكتريا، أهم هذه الخطوات تثبيت النتروجين من الغلاف الجوي.

كيف نستدل على وجود البكتريا؟

نستدل على وجود البكتريا من خلال نشاطها المتباين حيث أن لها أنواعاً مختلفة وهي كالتالي:

١-صناعة الغذاء(اللبن) ٢-إفساد الغذاء (التعفن) ٣- تخصيب التربة (الأسمدة) ٤- إهلاك الزرع(الأمراض).

من هم العلماء الذين كان لهم دور في اكتشاف البكتريا؟

١- ليفنهوك ٢- باستور ٣- روبرت كوخ.

بيئة الجراثيم

نجدها في كل مكان تحت الأرض إلى مسافة٤٠٠م - إرتفاعات شاهقة في الهواء. في درجات حرارة عالية حول فوهات البراكين - في المناطق القطبية.

داخل أجسام الكائنات (الحيوانات في الجهاز الهضمي والتنفسي).

صدر حديثاً

عن شعبة التحقيق في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة كتاب (حياة حبيب بن مظاهر الأسدي عليه السلام)، تأليف السيد علي القصير
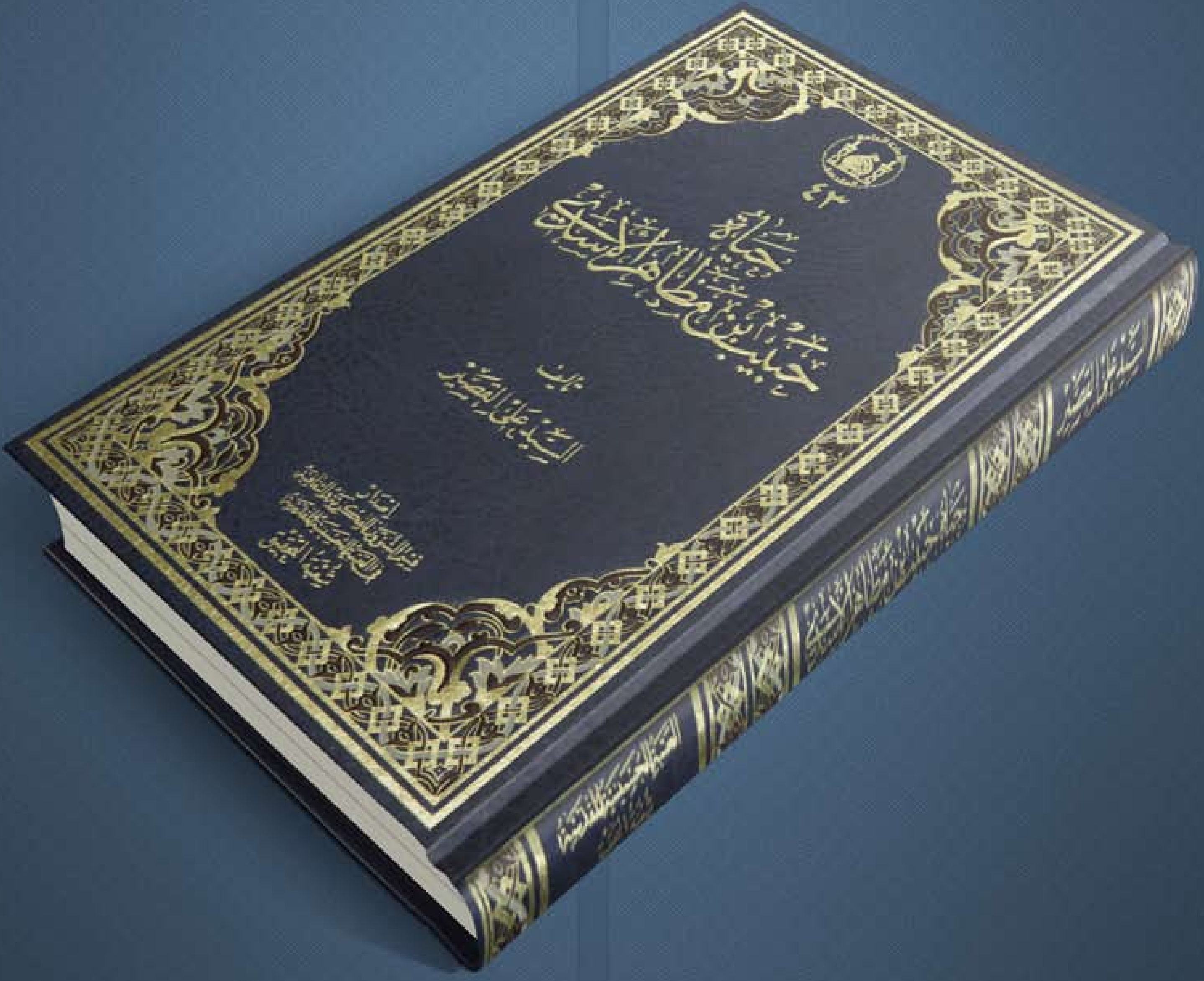
وكان حبيب بن مظاهر الأسدي سيدا، ففاح يعبق الأنجم بين تلكم الدرر، من صدفات العشق المقدس، ولسيرته إشراق، أحيى رفات المكارم، فجواهر آثاره مرقاة، ينظر من خلالها الرائي عناصر شخصيته، ومعالمها، ونواحيها، وصيغت أسرارها بمواقفها